من طلائع الفكر في الكويت

عبد العزيز الرشيد



فصل من كتاب « ادباء الكويت في قرنين » لمؤلفه خالد سعود الزيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم خالد سعود الزيد

ان حياة هذا الرجل آفاق كثيرة ، وجوانب متعددة من العظمة والخلود . فعبد العزيز الرشيد علم من اعلام النهضة الفكرية المعاصرة في الكويت ، ولست مبالغا في شيء ان قلت انه علم من اعلام النهضة العربية المعاصرة ايضا .

فله جولات وموقف في عالم الصحافة غير خفي ، وله صولات ومكان في دنيا الجهـــاد الديني والاصلاح الاجتماعي غير منكر .

فمن اندونيسيا ذلك البلد الاسلامي النائي ، الى المدينة المنورة الى القاهرة عاصمة النور والعلم ، الى استانبول ، كانت رسائله ومقالاته ومحاضراته تنقض كالشهب على رأس الاستعمار والرجعية والمرجفين في الدين .

حتى اذا ما استأثر الله به وحـــــال دون وجود شخصه القدر ، ظلت روحه خالدة ببقـــاء ذكره على آثاره الجليلة الخالدة ، لانه من اولئك النفر الرواد الذين وسموا انفسهم في حياة مجتمعهم ، وجعلوا من آثارهم نهجا يستقي منه الناهلون معالم حياة جادة اصيلة . تتواكب مع الايام وتتكيف مع كل جديد محمود .

ولد رحمه الله في الكويت عام ١٣٠١ هـ وتلقى علومه الابتدائية فيها ثم سافر الى الاحساء ومنها الى المدينة المنورة وتولى منصب الافتاء فيها لمدة سنتين . غير ان كثرة حاسديه فرضت عليه مغادرتها بين دموع اهليها ومشايعيه من طلابه وتلامذته فتوجه الى الاحساء ثم ما لبث ان هجرها الى الاستانـــة . وهناك التقى بالصفوة المختارة من رجال الفكر وعلماء الاسلام امثال الشيخ **محمد رشيد رضا** صاحب مجلة « المنار » والشيخ **عبد القادر المغربي** فتفتحت عاطفته القومية وتبلورت مفاهيمه الدينية فتراجع عن كثير من آرائه المتزمتة التي سار عليها في مطلع شبابه والتي نلمسها واضحة جلية في كتابه « تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين » الذي طبعه في بغداد عام ١٣٢٩ هـ ردا على قصيدة **الرصافي** رحمه الله « التربية والامهات » والتي مطلعها :

هي الاخلاق تنبت كالنبـــات
اذا سقيت بمـــاء المكرمـات

فجاء كتابه هذا نقضا لهذه القصيدة وتفضيـــلا للرجال على النساء ثم محاربة تعليم المراة وخروجها الى المدارس .

ولقد ولدت صلته بالشيخ رشيد رضا لديه الرغبة بالذهاب الى مصر للدراسة في ازهرها الشريف . فاقام في مصر بضع سنين فتعرف على ادبائها ومفكريها ومن كان يفد اليها من اقطاب الفكر وزعماء الاصلاح والسياسة في ذلك الحين .

وتأثر بمناهج الاصلاح التي وضع خطوطهـــا الافغاني والشيخ محمد عبده وتلامذتهما بعدهما كقاسم امين وغيره .

ولقد ربطت بينه وبين عبد العزيز الثعالبي الزعيم التونسي المشهور صداقة متينة في مصر نرى اثرها واضحا جليا في كتابه (تاريخ الكويت) الذي أهداه الى نفس هذا الزعيم العربي العظيم في طبعته الاولى .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد سنوات من التطواف في سبيل العلم والتحصيل عاد الى الكويت فعين مديرا للمدرسة المباركية عام ١٣٣٦ هـ — ١٩١٧ م . وقد ظل في منصبه هذا زهاء سنتين تولى بعدها وظيفة الواعظ في مجلس امير الكويت الشيخ احمد الجابر .

كان عبد العزيز الرشيد واسع الرأي بعيد النظر ، بليغ الخطاب ، موفق الحجة ، ما عزم الناس على امر خير الا وكان له فضل الاسبقية عليهم ، فهو صاحب فكرة كل مشروع جديد ، يدفع الناس الى الخير، ويحضهم عليه . كان اول من دعا الى تاسيس النادي الادبي عام ١٩٢٣ ، ولقد ارسى قواعده لبناء جيل مثقف جديد ، ويعتبر اول محاضر كويتي .

وقد نادى بتخصيص ساحة في وسط البلد لالقاء المحاضرات وتوجيه الناس والترحيب بالقادمين غير ان فكرته هذه لم يشأ الله لها التحقيق . ولقد اعطته ظروف اقامته في مصر للدراسة فرصة الاطلاع على كيفية اصدار المجلات والصحف فانشأ مجلته « الكويت » عام ١٣٤٦ . وهي اول صحيفة ظهرت في الخليج العربي على الاطلاق . فكانت نبراسا ومنطلقا للتعبير عن الراي ومنبرا للادب ومجالا لتربية مواهب الشباب والمتادبين . ولقد راى عجز الكثيرين من النوابغ في بلده عن متابعة الدرس واستكمال التحصيل فدفع صديقه **فرحان الفهد الخالد** . وهو من عائلة ثرية ان يصنع مشروعا خيريا لارسال طلاب العلوم الدينية الى المعاهد الراقية التعليم البلاد العربية ، فتبنى هذا الشاب النبيل رحمه الله لشروع وافتتحت الجمعية الخيرية عام ١٣٣١ هـ .

لقد كان محبا للخير معينا للفقراء والمعوزين مشددا على التعليم وانشاء المدارس فمن آرائه النيرة الجريئة ما جاء في كتابه « تاريخ الكويت » عند حديثه عن مساجد الكويت .

« ان هلالا قد احسن كل الاحسان في اصلاح مسجده وزيادته فان الحي الذي هو فيه بحاجة كبرى اليه ، ولكن يؤسفنا جد الاسف ان لا يكون لمدارس الكويت ومعارفها نصيب من ثروة هلال الطائلة التي ينظر اليها الكويتيون بعين الاهتمام ، وهو يعلم ان الانفاق في سبيل العلوم والمعارف من الانفاق في سبيل الله الذي يفوق حتى في تاسيس المساجد ومعاهد العبادة ، اذ لا تفيد العبادة صاحبها مع الجهل » .

لا شك انها نظرة عالم مصلح ورأي رجل فذ جرىء في عصر طمس الجهل عقول الناس واعمى بصائرهم عن رؤية الحق والنور المبين وان من يتصفح حياة هذا العظيم يجدها سجلا خالدا بالبطولات النادرة الفذة وجهادا في سبيل الحق والدين .

الم يكن عبد العزيز الرشيد اول من شجع الناس على قراءة المجلات والجرائد وقد كانت محرمة على الناس من قبل في الكويت .

لقد اوضح الشيخ للناس منافع الاشتراك في المجلات التي كانت تصدر في البلاد العربية كالمنار وسواها . فاندفع الى ذلك قوم وكفره على صنيعه هذا آخرون . بيد انه صبر ودافع عن الحق . ولقد كادت ان تحدث في الكويت حرب شعواء فيما بين الناس على قراءة الجرائد والمجلات لولا ان دفعها الله في مناصرة الشباب وبعض علماء الدين لهذا الرجل الكريم العظيم .

لقد اهاج هذه الحرب على عبد العزيز الرشيد وصحبه الشباب رجل من الاحساء يسمى بعبد العزيز العلجي . وكان هذا الرجل مأفون الراي مذموم الفكر ضيق الافق ارعن اهوج بليد الخاطر استحل دم ثلاثة من رجال الكويت الافذاذ وصرح لبعض مناصريه قوله :

« ان قتل ثلاثة من اهل الكويت ثمن لدخوله الجنة بغير حساب ، الشيخ يوسف بن عيسى وشاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب والشيخ الاستاذ عبد العزيز الرشيد » .

وكانت شررة الضغينة بين الناس قوله :

الى الله نشكو من ضلال على عمد
اتتنا به الجهال عن كل مرتد
قلوا كتب الاسلاف واستبدلوا بها
سجلات اصحاب (المنار) على عمد

ويعني بقوله « الجهال » الاستاذ عبد العزيز الرشيد ومناصريه .

لقد كانت لعبد العزيز الرشيد رحمه الله نظرات بعيدة صائبة . وآراء حميدة فهو اول من اخذ يحث الناس على شراء الاراضي البور قرب مدينة الكويت وكان يدلل على اعتقاده هذا بقول **ابن خلدون** : « ان من اسباب الغنى شراء الاراضي البور القريبة من المدن » ولقد انتفع برايه اناس كثيرون بعد التطور العمراني الذي طرأ على الكويت اخيرا حين تفجر النفط .

لقد سافر طلبا للعلم . وهاجر كفاحا من اجل الحق . واخر هجرة له كانت الى اندونيسيا ذلك البلد الاسلامي النائي . وهناك اشترك مع الرحالة العراقي **يونس البحري** في اصدار مجلة « الكويتي والعراقي » .

لقد كانت حياته في اندونيسيا حياة نضال وكفاح ، ان هجرته الى اندونيسيا كانت بدافع من رغبته بالدفاع عن الاسلام . فالبهائية قد انتشر داؤها واستشرى خطرها وكادت ان تعم ببلائها اندونيسيا . فحاضر وناظر واسس مدرسة من اجل تفهيم الناس الاسلام واطلاعهم على حقيقة جوهره وتعليمهم اللغة العربية لغة القرآن فحقق جزءا من مهمته رحمه الله وتزوج فانجب ولا يزال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



له هناك بنون وبنات .

كان رحمه الله ينبوعا من نور ، وطاقة من جهاد مخلصا للحق ، انه هبة من الله للكويت ، ولا يتيح القدر من امثاله الا القليل النادر .

ان عبد اللطيف النصف وخالد الفرج وحجي بن جاسم وصقر الشبيب ، كل هؤلاء الرجال هم نتاج غرسه وثمرة عطائه الميمون ، تغمده الله برحمته وأثابه العفو والرضوان .

المراجع :

١ ــ ترجمة لحياة عبد العزيز الرشيد بقلم الاستاذ عبد الرزاق البصير مثبتة في كتاب تاريخ الكويت في طبعته الجديدة .

٢ ــ تاريخ الكويت : تاليف عبد العزيز الرشيد .

٣ ــ افتتاحية العدد الاول من مجلة الكويت بقلم الاستاذ عبدالله الصانع رئيس التحرير بعد ان اعاد اصدار المجلة الاستاذ يعقوب عبد العزيز الرشيد تخليدا لذكرى والده الراحل عام ١٩٥٠ .

★★★

● اقيمت في المانيا دور خاصة ، او معاهد طبية ، لمعالجة المدمنين على تناول الخمور ، ودار عمانويل في اوبر فرانكن من اشهرها ، وفي هذه الدار ينقسم المعالجة الى اربعة اقسام :

الاول ــ وهو الاصعب حيث يعهد المدمن بالخضوع لقانا للانظمة المعمول بها ومنها البقاء داخل غرفة منفردة مدة خمسين يوما .

والثاني ــ يتناول المعالجة النفسية حيث يجرد المرء من كافة الحاجات العينية التي يمتلكها كالساعة اليدوية والخواتم والاقلام والمجوهرات الحلاقة وغيرها حتى لا يقدم على الانتحار بواسطتها حين تمنع الخمرة .

اما الثالث ففيه المعالجة الطبية واعطاء المدمن الحبوب المهدئة للاعصاب .

والقسم الرابع فيه يسمح للمدمن وقد قارب الشفاء التجول في الحدائق والغابات على ان يعود مساء الى الدار .

مدة المعالجة تتراوح بين ٤ ــ ١٢ شهرا اما النتائج فقد سجلت حتى الان ٦٨ ٪ .

★★★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عراقيف



عبر الهاتف ... همسك يحملني
فوق سحابة عطر وردية
يغرقني في اعماق النشوة
يا حلم الاحلام الحلوه
همسك عبر الهاتف
موجات حنان قدسية
تنساب .. فتشربها روحي
فتبرعم في قلبي امنية

★ ★ ★

يا حلم الاحلام الحلوة ...
فوق قطيفة صوتك امشي
انسج من ضوء الاقمار ومن شوقي
خيمة حب صوفية

★ ★ ★

يا حلم الاحلام الحلوة ...
همسك ريشة فنان انسان
يرسم بالحب وبالتحنان
اروع لوحات الدنيا

★ ★ ★

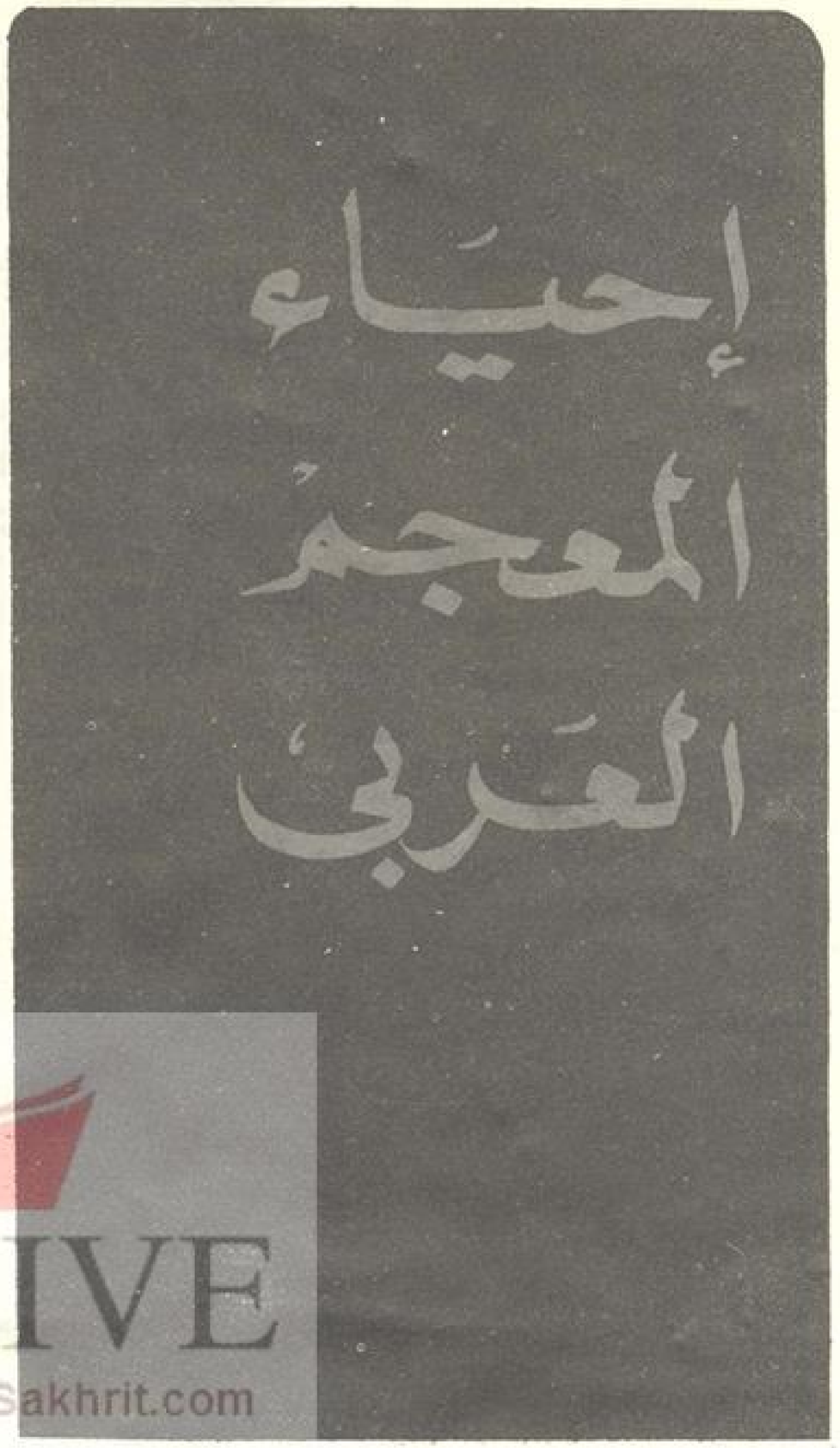
في صحراء العمر المقفر
همسك ـ يا حبي ـ يتفجر
ينبوع رجاء اخضر ...

★ ★ ★

يا حلم الاحلام الحلوة
يا من تتشهاها النشوة
همسك موسيقاي الحلوة ...

شعر : عبد الله العتيبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





عثمان الكعّاك

اللغة العربية غنية بالمعاجم وفقيرة اليها ، فاجدادنا قد بذلوا مجهودا لم تبذله امة اخرى في جمع اللغة ودراسة لمعجماتها ووضع معاجمها الكبرى **كلسان العرب** لابن منظور **والمحكم** لابن سيده **والقاموس المحيط وشرحه تاج العروس** لمرتضى الزبيدي .

ووضعوا معاجم للنبات كمفردات **الغافقي وابن البيطار** ، او للحيوان ككتاب **الدميري** او لمعرفة البلدان كمعجم **البلدان** لياقوت الحموي ، او معاجم مزدوجة لمعرفة اللغات كالمعاجم البربرية العربية والتركية العربية او الفارسية العربية الى غير ذلك .

لكن الكثير من هذه المعاجم مخطوط لم يطبع **كالمحكم** للزبيدي وكتاب **العين** للخليل بن احمد او طبع ونفد **كالمخصص** لابن سيده ، او لا يوجد في كل مكان **كتاج العروس** او هو يحتاج الى تهذيب وتعصير **كلسان العرب** .

ومن هنا بدا يظهر الفقر بعد الاثراء اذ ما تفيدنا هذه الثروة الطائلة التي ليس لها شبيه في العالم اذا كانت مجمدة وليست في متناول اليد .

ولكن هذا فقر اصغر بالاضافة الى فقر اخر ادهى وامر ، هو فقر منا ومن المعاجم نفسها ، فالفقر منا لان القليل منا من اذا اعوزه لفظ للاعراب عن معنى جديد او مصطلح او كلمة تقنية اتجه الى **المخصص** لابن سيده او حتى **فقه اللغة** للثعالبي ، مثال ذلك اننا نبحث عن كلمة عربية للكلمة « فاليجه » او « شنطة » VALISE وقد اعيانا البحث ولكن لم نتجه الى **فقه اللغة** للثعالبي والا لوجدنا فيه ان « الوليجة » هي الصندوق الذي يضع فيه المسافر ثيابه . ولو ذهبنا الى قاموس LITTRE الفرنسي لوجدنا ان VALSSE من العربية وليجة ، فتلك بضاعتنا ردت الينا .

واما الفقر من المعاجم نفسها فانها وقفت في وقت ما ، ولا نلومها على وقوفها فقد ادت مهمتها بامانة ونجاح وتوفيق وروح رسالة ، فلا يمكن **لابن منظور** وهو من ابناء القرن الرابع عشر ميلادي ان يعرب عن معاني القرن العشرين ، ولكن الواقع هو الواقع فان هذه المعاجم ادت رسالتها ووقف بها الزمن عن الاستمرار . فبقيت مفيدة جدا الى يومنا هذا وعلى وجه الدهر فيما يخص متن اللغة وسر العربية وبعض المصطلحات وليس عليها ان تؤدي المعاني الحديثة . فهذه مهمتنا نحن .

وهذه عملية لا تتم الا في زمنين :

الزمن الاول : ان نحصي جميع المعاني والمفردات الدالة عليها **في المعاجم الموجودة اي ان نقوم بعملية** تعداد وتجميع SYNTHESIS وهذا لم يقع ، بحيث ابتكرنا كلمات ربما كانت موجودة فلا حاجة لابتكارها .

وهذه العملية تحتاج الى جرد في كتب اللغة واهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب الادب العربي .

الزمن الثاني : اذا فعلت ذلك وتم التعداد والاحصاء والجرد والتجميع ووضعنا معجما كاملا ابتداء مما سبق عرفنا ما بقي علينا ان نقوم به فيما لحق ، فعندئذ نسعى في رتق الفتق واكمال النقص.

ولكن يجب ان نفرق بين امرين :

الامر المستعجل :

وذلك ان العلم يمشي بسرعة البرق ، فيجب ان نضع العلوم الجديدة كعلم الاحياء والعلوم النووية مفردات جديدة ولو موقتا ، والا فاتنا الركب وبقينا نهتز ونحن مكاننا ، فيجب ان تكون في المجامع العلمية العربية « فرقة للطوارىء » تضع الكلمات الجديدة فور حدوثها باوروبا واميركا بدون ادنى استبطاء ، فلا بد من هذه الناحية ان نكون في الطليعة ، ولا بد ان يكون هناك تعاون بين معاهد البحوث العلمية والجامعات والمجامع لانجاز المشروع واصدار مجلة دورية موحدة تنشر الكلمات الجديدة وتحدد معانيها وتنشر مصادرها باللغات الاجنبية وتضع المفردات المقابلة لها باهم اللغات العلمية الاجنبية .

واما الكلمات الاخرى التي حدثت منذ وقفت المعاجم العربية الى الان والتي ليست لها صبغة تأكد واستعجال فنحن نضعها على مهل وبدون تراخ بعد التوثق من انها لا توجد في اللهجات او لا توجد في المعاجم القديمة نفسها ، ولا يمكن ان تكون الا قليلة العدد .

خذ لك مثلا ان لي صديقا جمع الكلمات الاصطلاحية المتعلقة بالموسيقى فضبطها بالفرنسية والانكليزية ، ثم قرا كتاب الاغاني **لابي الفرج** قراءة موسيقار لغوي فوجد جميع الكلمات التي ضبطها وبقيت معه ١٥٠ كلمة اخرى للاستخدام .. !

وكما ان اجدادنا قاموا بواجبهم نحو لغتهم ، فلا يجب ان ننام على اكليل غارنا الذي توجوا به رؤوسنا بل علينا ان نضع المعجم العربي الكامل الشامل للاعلام الجغرافية والبشرية والمفردات اللغوية والاصطلاحات التقنية وان نضعه في اربعة مراحل ، مرحلة الابتدائي ثم الثانوي ثم العالي ثم البحث العلمي وبالله التوفيق .

وزارة البريد والبرق والهاتف
اعلان مسابقة لتصميم طوابع بريدية

تعلن وزارة البريد والبرق والهاتف عن مسابقة لاعداد تصاميم لطوابع بريدية خاصة بالمناسبات التالية :

المناسبة	تاريخ الاصدار
١ — يوم فلسطين العربية	١٩٦٨/٥/١٥
٢ — العيد الفضي لنشأة جامعة الدول العربية	١٩٧٠/٣/٢٢
٣ — المشروع الاول للاتحاد البريدي العربي ٤٦ — ١٩٧١	١٩٧١

فيرجى من يرغب في الاشتراك في هذه المسابقة ان يراعي الشروط المبينة ادناه :

١ — يحتوي التصميم على اسم المناسبة كما هو مبين اعلاه .
٢ — يترك فراغ مناسب في جانبي التصميم لكتابة الفئات المقررة .
٣ — يكون حجم التصميم ٢٠ × ٣٠ سنتمترا .
٤ — ترسل التصاميم بداخل غلاف معنون الى وكيل وزارة البريد والبرق والهاتف ، على ان تصله التصاميم قبل تاريخ ١٩٦٧/٥/١ ويكتب على الغلاف « مسابقة تصاميم الطوابع » .
٥ — يكتب على ظهر كل تصميم اسم صاحبه وعنوانه .
٦ — تختار اللجنة الخاصة التصاميم التي تراها مناسبة ، ويحق لها ادخال التعديلات عليها اذا رات ذلك ضروريا ، كما يحق لها اهمال اي تصميم غير مستوف الشروط المطلوبة .
٧ — يمنح الفائز مكافأة مالية قدرها (٣٠) ثلاثون دينارا كويتيا على كل تصميم .
٨ — جميع التصاميم التي تصل الى الوزارة تصبح ملكها ولا تعاد الى اصحابها .

وكيل الوزارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفوسٌ قلقة مبدعَة
نظرة فنّية

أبُو حَيّان التوحيدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يشعر المتامل في نفسية ابي حيـــان ان صراع الاضداد بلغ في اعماقه حدا لا بد وان ينتهي به الى نهاية مأساوية كالانتحار ، او الرفض التام لهذه الحياة الدنيا عن طريق نوع من التصوف المتوتر القلق ، او الالحاد ..

ولقد انتحر ابو حيان فكريا ومعنويا عندما احرق كتبه ، وهو الاديب المفكر الذي ليس له من تراث في هذه الحياة غير تلك الكتب ..

ولقد انتحر عقليا ، عندمـــا تخلى عن جهوده الفلسفية الطويلة الامد واستسلم لتصوف يعطل العقل تماما (١) : « اذا جائك الحق بما يدق عن الفهم فـلا تحاكمه الى نقص العقل .. اذا فتنك العقل بدقائق البحث ، فاستقبله بحقائق التسليم » (٢) .

اما الالحاد الذي لجأ اليه غيره في هذه الفترة ولاسباب مشابهة فقد صرفه عنه « ضمام الامان » الذي حول طاقة حنقه وثورته على الحيـــاة الى شكوى صوفيته (٣) وعتاب دقيق يتفجر بالالم بسبب اختلال مقاييس هذه الدنيا الفانية من ناحية وبسبب تاخر شمول العطف الالهي من ناحية اخرى .. فأية اضداد تلك التي مزقت نفس الرجل وانتهت به الى هذا المطاف ؟

صراع الاضداد

اولا : الفقر والثورة عليه ..

نشا ابو حيان نشأة فقيرة وظل فقيرا معوزا في معظم الاحيان . وكان عصره عصر الغنى الفـــاحش البخيل والفقر المدقع ، ولقد كان كثيرون من امثاله ومن هم اكثر علما منه فقراء في مثل فقره او اسوا ، الا ان فقره هو بالذات كانت له آثار عميقة على صعيد تطوره النفسي وما رافقه من تطور فكري .

١ ــ فكان شديد الشعور بهذا الفقر ، كثير التشكي منه ، لم يستطع اي تبرير فلسفي او ديني ان يقنعه بعدالته ووجاهته (٤) . فالفقر في نظر رجل كالتوحيدي ، رهيف الاعصاب ، مكدودها ، رقيق الحس ، سريع التأثر والانفعال ، ليس كالفقر في نظر عامة الناس ، بل الفقر عنده فكرة رهيبة ، يضخمها خياله التحليلي فيزيدها رهبة وهولا ؛ فهي

الاسرة قاعدة المجتمع فحافظوا على بنائها
٢١ مارس عيد الاسرة



بقلم : محمد جابر الأنصاري

تنطوي على معاني الحرمان والجهد الاليم الذي يتطلبه الحصول على العيش الهنيء المرموق (٥).

ب ــ كان بالاضافة الى ذلك يميل « ميلا قويا الى التنعم بالعيش ولذائذه » ويتحرق الى الحياة اللذيذة وتحقيق الرغبات والفوز بالغنى والسعادة (٦) .

ولولا هذا الميل القوي لما تضخمت المشكلة ولما طرحها ابو حيان على الصعيد الفلسفي والديني بمثل ذلك العنف والالحاح .

ج ــ ان جهوده الحثيثة الملحاحة في سبيل التغلب على هذا الفقر قد باءت بالفشل واصبحت في معظمها وبالا عليه ومجلبة لمزيد من اليأس والحرمان ومدعاة لخلق الاعداء وثلب الناس .

فهذه اذن صورة واحدة من صور الصراع النفسي عند ابي حيان : شعور مرير بالفقر ، ورغبة ملحة في التنعم والغنى ، وجهود مستمرة تبوء بالخذلان .. رجل يمر بهذه التجربة المريرة لا بد وان يلجأ الى «ادانة» الحياة الدنيا ورفضها .. والى تحويل هذا الرفض الى نوع من التسامي الذي يغطي الفشل وما تحفه من مرارة وقديما قال القصاص ان الثعلب عندما لم يتمكن من الوصول الى العنب قال عنه : انه شديد الحموضة ، ردىء الطعم .. !

وكل انسان يمر بتجربة الثعلب ، ولا يستطيع ان يجابه نفسه موضوعيا ، يقول قول الثعلب ايضا .

ثانيا : بين طموح وتخاذل

ثمة صراع اخر بين ضدين قويين . كان ابو حيان يتمتع بعدد من المواهب والكفاءات : كان منشئا بارعا ، ومثقفا واسع الاطلاع ، ومفكرا له وزنه وكان يريد دون شك احتلال منصب اجتماعي يتناسب مع مواهبه ويرفعه على الاقل الى منزلة ابن العميد والصاحب بن عباد او ما يقرب من ذلك تحقيقا لذاته من ناحية وتخلصا من حالته المزرية من ناحية اخرى ، الا ان الظاهر ان وسائله الى نيل ذلك كانت ضعيفة ، واضعف نقطة فيها تخاذله وجبنه وطلبه للسلامة وتجنبه لاي عمل يتسم بروح المغامرة . فهو يتجنب تولى الكتابة عند الامير ابن سعدان **ــ ايام عزهما معا ــ من تقلب الزمان مع ان منصب الكتابة في ذلك العصر سلم لارفع الدرجات ..**

وهو يتجنب احتمال المخاطر التي لا يحسب حسابها العاديون من الناس فهو يترك وظيفة البريد بعد ايام من توليه خوفا واستيحاشا وهو يرفض الذهاب مع رئيسه ابن موسى الى الجبل ــ مخالفا بذلك ولي نعمته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن سعدان ــ لاسباب « نظرية » مفلسفة لم تحجب خوفه من ان « يدهدهني ــ ابن موسى ــ من اعلى الجبل في الطريق » . والواقع ان هذا هو سبب رفضه الذهاب وليس ترفعا منه عن « عمل الجاسوس » (٧) . فلقد ظ ل ابو حيان « عينا للوزير (ابن سعدان) ينقل اليه ما يدور عنه في المجالس من احاديث ، ويحدثه بما تردده الشائعات » (٨) ، وهو لم يكن من السذاجة بحيث لا ينتبه الى طبيعة العمل الذي يقوم به رغم ما عرف عنه من شدة وعي بالذات والاحداث .

وبالاضافة الى هذا التردد والتخاذل في تحقيق متطلبات الطموح . كان ابو حيان لا يحسن مجاملة من ينتظر منهم الانعام والمساعدة . بالرغم من انه احيانا يستجدي استجداء مخلا بالكرامة . فنراه يشتط في مخاطبة الصاحب ويحتد مما يوغر صدر الاخير عليه . ويبدو ان هذا راجع الى ان ابا حيان لا يستطيع السيطرة على تدفق شعوره الحاد ولا يتمكن من اخفاء نظرته الحقيقية بستار الرياء والمداهنة بسبب اعتداده القوي بنفسه وبسبب نزعته العلمية الفلسفية التي عودته على الصراحة والتعبير المباشر عن النفس .

وهكذا نجد هنا صورة ثانية من صور الصراع : كفاءة وموهبة . . تدفعان الى الطموح . . وخوف وتخاذل يقفان في وجه تلك الرغبة التي تقويها صورة الصراع الاولى (الخلاص من الفقر) . « والجبن حين يرافقه نشاط في ملكات الذهن . وطلاقة في عضب اللسان . يتعب صاحبه . فلا هو قانع محتجز . ولا طامع مغامر . فهو بين رجاء ــ حين تدفعه الكفايات ــ الى تحقيق اسمى الرغبات . ورهبة حين يرده الجبن عن تحقيق ادنى الرغبات . وبين هذه القوى المتعاندة المتلاحمة . ينتصر الاخفاق والحرمان (٩) » .

ثالثا : بين فكر قوي ونفس متهالكة

هذه صورة ثالثة لصراع الاضداد تتفرع عن الصورة الثانية وتلتحم بها . فقد عرف ابو حيان بقوته الفكرية وبميله الى الفلسفة وبايمانه ــ نظريا ــ بعدد من المواقف الخلقية المثالية . . ولكنه لم يستطع ان يوفق بين فكره الحر وبين شدة رغباته ، وكانت ضحية التنازع عزة نفسه . . فقد سجل عليه التاريخ مواقف استجداء واضحة خصوصا في رسالته التي بعث بها الى ابي الفتح ابن العميد والتي كشفت بوضوح « تهافت نفسه تجاه من يطمع منهم بجاه او مال » (١٠) .

ولعله كان يحس بهذا التهافت فيحاول تعويضه بمواقفه المتصلبة تجاه هؤلاء كما ذكر . كأن يتجاوز حدود اللياقة في محادثة الصاحب ويتعالى عليه .

وهكذا تبدو « المسافة بين جبروت عقله ، وتهافت شخصيته . شاسعة جدا . حتى ليصعب على قارئه . ان يدرك اجتماع هاتين الشخصيتين المتضاربتين : فكر حر قوي . ونفس متهالكة متخاذلة (١١) » . وهذه المسافة الشاسعة تضيف بعدا جديدا من ابعاد ذلك الصراع العنيف .

رابعا : بين تفرده واتجاه عصره

في تاريخ النثر العربي . في القرن الرابع بالذات ، يبدو ابو حيان ظاهرة فريدة اذ نراه يحاول احياء الطريقة الجاحظية وتغليب المنحى الفردي في الكتابة على المنحى الديواني الرسمي . الا ان التيار العام . القوي . على يد ابن العميد والصاحب بن عباد وسواهما . كان يسير في اتجاه مغاير لاتجاه ابي حيان اشد المغايرة . ومن هنا كانت مأساته « مأساة الفرد الذي يقف وقفة شاهرة في وجه التيار . دون ان يفرق . ودون ان يحس به التيار المتدفق . . . وليست مأساته الحقيقية في فقره وخموله . وانما هي في وقفته وحده يصارع بروح متمردة وهو يبدو للناظر ضعيفا خائرا . يفزع الى الاستغاثة . ويتلذذ بالشكوى . كأنه لم يعرف معنى القوة في نفسيته » (١٢).

حقا ان هذا الصراع هو الذي قضى عليه فردا ــ في حياته ــ وشخصية تاريخية ــ بعد مماته ــ فاهمله المترجمون والمؤرخون وكأنه لم يكن احد عمالقة النثر العربي . واذا جاز ان تسجل لابي حيان مأثرة كبرى . فان مأثرته الكبرى هو اتخاذه موقف الفنان الاصيل الذي يرفض تزييف فنه والانسياق وراء الزي الادبي الشائع الذي لا يؤمن به . الا ان هذا الموقف لم يؤد في القرن الرابع الا الى المزيد من تجاهله واهماله ، وبالتالي ، الى المزيد من نقمته وتبرمه وشكواه .

خاتمة المطاف : لجوء للتصوف ! ..

تلك هي صور اربع من صور الصراع النفسي الاليم العنيف ، التحمت في نفسية ابي حيان التحاما عضويا لتنتج بالتفاعل مع مكوناته النفسية الاصيلة من فكرنا به وحس متوقد ، من ناحية ، ومع بيئته الاجتماعية القاهرة الغريبة عنه من ناحية ثانية ، شخصية يائسة حانقة تجد في الشكوى المرة وفي النقد اللاذع للاخرين سلواها الوحيدة .

كان هذا الوضع النفسي يتبلور ويتركز ضمن هذا الاطار ، بينما كان ابو حيان يتجه نحو الفلسفة والعقل على امل ان يروي ظمأه الفكري ويجد تعليلا شافيا لما يثور في ذهنه من تساؤل وخاصة حول مسألة العدل المتمثلة في حرمان المستحق وسعادة الخامل (١٣) .

« الا ان الفلسفة الواثقة من نفسها في هذا الموقف لم تستطع ان تحل سيدة المشكلات ، او « ملكة المسائل »

عند ابي حيان » (١٤) .

وهكذا نلتقي بابي حيان في اخريات حياته :

أ ــ يأس من هذه الحياة ، وشعور مرير بالحرمان لا تزيده فترات التنعم القصيرة التي مرت به الا شدة وحدة .

ب ــ جهد علمي وادبي مهدور لم يقدره المجتمع ولم يلتفت اليه احد .

د ــ فقدان الثقة في العقل والفلسفة نظرا لعجزهما عن حل اعقد مسألة ارتبطت بفكره ونفسه وبواقع حياته اليومية . وهذا العجز من شأنه ان يؤدي عند الكثيرين الى نتيجة فكرية خطيرة وهي الشك في مسألة العدل الالهي من اساسه واللجوء بالتالي الى الالحاد او الى الانتحار .

ا لان ثمة عوامل خاصة بابي حيان « انقذته » من احدى تلك النتيجتين . وهي :

ا ــ ان اطلاعه المبكر على التصوف وعلاقته الوثيقة بالمباحث العقلية جعلاه يشعر بـ « شرف النفس الانسانية وضرورة الانقياد للنفس الناطقة . وهذا الايمان ساعد على انقاذه من الانتحار » (١٥) .. وان كانت فكرة الانتحار قد راودته وخطرت على باله مرات عديدة باشكال عديدة . فنراه في كتاب « الهوامل » يثير مسألة الانتحار ويستعرض احوال بعض اهل العلم الذين لجأوا الى الانتحار تخلصا من البؤس الشديد . وهو وان كان « يهجن » التخلص من الحياة » فانه مع ذلك كان « يجد صورة نفسه في اولئك المنتحرين ، فعلل واحد منهم ابو حيان في بؤسه ، وسوء حاله ، وضيق رزقه ونفور الناس عنه » (١٦) . ولقد تجسدت صورة الانتحار في حياته بشكل درامي عندما حول صداها من نفسه الى كتبه فاعدمها(١٧) انسياقا وراء شعور داخلي فيه ان ابا حيان المفكر والاديب لا يمكنه ان يعيش في ذلك الاطار الحياتي والاجتماعي الذي يسوده اختلال المقاييس من كل جانب .

ب ــ ان تفجير طاقة حنقه وثورته على ما رآه من ظلم بطريق الشكوى المستمرة خلق له «صمام امن» (١٨) حوله عن الشك او الالحاد في آخريات حياته وجعله يتجه نحو « تعويض » جديد يتسامى بحرمانه وفشله .

كان هذا التعويض هو التصوف. ولم يكن ابو حيان غريبا عن التصوف فله احتكاك باهله منذ ايام شبابه. ولقد كان عالم التصوف والمتصوفة هو الملجأ الطبيعي لرجل يائس رفض الالحاد والانتحار . فتقاليد المتصوفة وازياؤهم تجعل فقره مظهرا عاديا ينسجم مع اتجاهه في الزهد ورفض الدنيا ولا يبدو امرا مفروضا عليه كما ان الانتصار النفسي ــ الروحي الذي كان من « المنتظر » ان يحققه في طريقه الجديد كمتصوف يطلب عالم الاشراق الالهي من شأنه ان يجعل من اخفاقه الدنيوي امرا تافها لا اهمية له وان يظهره بمظهر الرافض للدنيا والناس لا بمظهر المرفوض المخفق .

المصادر والمراجع

١ ــ ابو حيان التوحيدي : الاشارات الالهية ، ح ١ ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي . ط . جامعة القاهرة .

٢ ــ الاستاذ عبد الرزاق محي الدين: ابو حيان التوحيدي سيرته ــ اثاره ، نشر مكتبة الخانجي ، ١٩٤٩

٣ ــ الدكتور احسان عباس : ابو حيان التوحيدي ، دار بيروت ، ١٩٥٦

٤ ــ الدكتور ابراهيم الكيلاني : ابو حيان التوحيدي ، سلسلة نوابغ الفكر ، بيروت ، ١٩٥٧

ــ البحرين ــ

محمد جابر الانصاري ــ ماجستير في الاداب

* ابو حيان التوحيدي ، من شخصيات القرن الرابع الهجري ، يضمه النقاد ــ من حيث التفوق والابداع الادبي ــ بعد الجاحظ مباشرة في تاريخ النثر العربي ، كاتب خصب الاسلوب ، متوقد الفكر . عاش معظم حياته فقيرا مهملا وانتهى متصوفا يائسا . من اشهر كتبه : « الامتاع والمؤانسة » و« الاشارات الالهية » و« الصداقة والصديق » ، بالاضافة الى بعض الرسائل .

١ ــ ابو حيان التوحيدي للدكتور احسان عباس ، ص ١١٦
٢ ــ الاشارات الالهية لابي حيان ، ص ١٧٥
٣ ــ احسان عباس ، ص ١١٣ ــ ١١٤
٤ ــ احسان عباس ، ص ١١٥
٥ ــ ابو حيان التوحيدي ، للدكتور ابراهيم الكيلاني ، ص ٢٩
٦ ــ المصدر السابق ، ص ٢٨ ــ ٢٩
٧ ــ احسان عباس : ٩٧
٨ ــ المصدر السابق : ٩٨
٩ ــ ابو حيان التوحيدي ، سيرته ــ اثاره ، للاستاذ عبد الرزاق محي الدين ، ص ٣٢
١٠ ــ المصدر السابق ، ص ٤١
١١ ــ المصدر السابق ، ص ٣٦
١٢ ــ احسان عباس ، ص ١٠ ــ ١١
١٣ ــ احسان عباس : ٨٢ ، ١١٢
١٤ ــ المصدر السابق : ١١٢
١٥ ــ المصدر السابق : ١٠٨
١٦ ــ المصدر السابق : ١٠٩
١٧ ــ المصدر السابق ١١٠
١٨ ــ المصدر السابق : ١١٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أود لو ...

شعر
لمى طعمة



أود لو اموت مرة او .. مرتين
أود لو أتيه في البحار
ممزق الشراع تائه النظرة
مراكبي شعاع
وعالم الضياع
يلفني .. يشدني
يهزني فانتهي
وينتهي الصراع

★★★

أود لو احطم العصور
أفجر المدى
أخط فصلا من فصول الفاجعة
أخطه بمفردي
أقول ها أنا
وأفقأ العيون
عيون جالدي وقاتلي
وتنتهي روايتي
أو أنتهي .. أنـــا .

★★★

أود لو أقول كلمة .. او كلمتين
لجالدي وقاتلي
كفاكما يا جيفتين
كفاكما انتقام
فليس في محاجري عيون
وليس في جوانحي فؤاد
فخافقي مزقته
مشاعلا على الدروب
زرعتـــه
وأعيني ، لا رمل تعيش في ظلام
اضأتها .

★★★

اود لو اقول يا ..
ويختفي النداء يختفي
وتمحي الحروف تمحي ولا تعود
ولا يزال قاتلي يصيح بي :
« اخرس وتنهال السياط .
فالضحكة الصفراء سوط
واللكمة العمياء سوط
وانـــا اود
ماذا اود تراه موت ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجيب محفوظ

قمّة الرواية العربيّة



١

بقلم عدنان الداعوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الحـــديث عن « نجيب محفوظ » هو الحديث عن الحركـة الفكرية وتطورها في مراحلها الثلاث .. منذ المرحلة التاريخية الاولى .. الى الرؤيا الاجتماعية .. الى مرحلة البحث الفلسفي في الوجود والانسان.

والحديث عن «نجيب محفوظ» ليس بالحديث السهل أو اليسير ، ذلك لان نجيب محفوظ سيظل كالنجم الهادي في سماء الرواية العربية .. يجتذب اليـــه النقاد والدارسين والقاصين وقراء الادب بوجه عام .

فقد ابتدأ نجيب محفوظ اول ما ابتدأ بمرحلة البحث في التـــاريخ المصري القديم وكان بحثه يتسم بطابع الايمان بسطوة القدر وحتميته ضـــد عنف فرعون وسطوتـــه في (عبث الاقدار) ــ عام ١٩٣٩ ــ ومهاجمته للنظام الملكي وانصراف الملك في لهو فاضح في احضان غانية لعوب وينتهي بالموت في احضانهـــا (رادوبيس) ــ عام ١٩٤٣ ــ ... ثم تقديس الروح الوطنية والتمسك بتحرير وادي النيل على يـــد « احمس » وطرده للهكسوس في (كفاح طيبة) ــ عام ١٩٤٤ .

كذلك كان اهتمام نجيب محفوظ بالتاريخ المصري اهتماما واضحا في مجموعات قصصه الاولى ، كمـــا في مجموعته « همس الجنون » ــ عام ١٩٣٨ ــ بقصة « يقظة المومياء » اذ يحكي فيها قصة مومياء فرعونية هبت من رقادها الطويل لتعيش مع الشعب المصري ألمه وجوعه وبؤسه.

ولن نغفل عن ذكر امر هـــام هنا .. فنحن اذ قسمنا بداية الانتاج عند نجيب محفوظ وسمينا هـــذه البداية بالمرحلة التاريخية ، نجد ان الكاتب فيها ــ رغم شديد اهتمامه بالناحية التاريخية ــ يوجه اهتماما بالغـــا وعظيمـــا للواقع وللمجتمع وللسياسة فيناقش كل هذا من خلال استعراضه للاحداث التاريخيـــة الغابرة . او بمعنى آخر كان يرمز للواقع من خلال رواياته التاريخيـــة هذه .. وكثيرا ما يغني الرمز عن الواقع ، عندما يكون هذا الواقـــع متأزما ..

وتخلف الحرب العالمية الثانية اوضاعا جديدة في العالم كله ، وتتزايد حركة التحرر والانطـــلاق في الوطن العربي .. اثـــر ظهور طبقتـــين جديدتين متصارعتين هما طبقة تجار الحرب الذين كونوا الرأسماليـــة المصرية الجديدة ، والعمال ــ العدو اللدود للرأسمالية .

وابتدأت تتزايد مع تزايد العمال ــ المخيف للرأسماليـــة ــ اجواء المثقفين الواعين بعـــد ان اصبحت الجامعة المصرية تخرج العديد منهم .

عندئذ ابتدأت اعمال « نجيب محفوظ » تأخذ شكـــلا اخر اكثر انسجاما مع المجتمع : فظهرت اولى روايات تلك الفترة الاجتماعيـــة بـــ « القاهرة الجديدة » واعقبهـــا بـــ « خان الخليلي » و«زقاق المدق» وفيما بعد بالثلاثية الرائعة « بـــين القصرين ــ قصر الشـــوق ــ السكرية» ولعل غالبية هذه الروايات كانت تتسم بسمة واحدة هي قضية صراع لوجهتين من النظر مختلفتين كما هو الامر بين « مأمون » ــ الذي يأبى الاعتراف بالقضية المصرية .. ويقول بحماسه المعهود : ان هنـــاك قضية واحدة هي قضية الاسلام ــ وبين « علي طه » الـــذي ارتمى في احضان الفلسفة المادية وآمن بالتفسير المادي للحياة .. ــ « القـــاهرة الجديدة » ــ . كذلك الامر بـــين « حميدة ــ والسيد الحسيني » في « زقاق المدق » وبين « احمد ــ وعبد المنعم » في « نهاية الثلاثية » .

وتظهر نغمة جديدة وعجيبـــة عند « نجيب محفوظ » وسط هـــذه المجموعة من الروايات الاجتماعيـــة هي « السراب » عام ١٩٤٨ ــ والتي تعتمد على التحليـــل النفسي وتقصي عقدة اوديب داخل بطل الرواية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وتكتمل من بعد ، المرحلة الاجتماعية ، بظهور رواية « بداية ونهاية » ــ عام ١٩٤٩ ــ التي تعرض مأساة الاسرة المنكوبة عندما تفقد عائلها الوحيد .. كل ذلك تحت الحاح الحاجة والعوز ، ولسد الفراغ الطبقي الكبير الذي يتطلع ويرنو اليه « حسنين » شقيقها والذي يمارس الحياة خارجة عن نطاق بيئته وجوه ومحيطه .

وتنتهي هذه المرحلة الاجتماعية عند نجيب محفوظ انتهاء اخيرا في « الثلاثية » .

والثلاثية معايشة رائعة للمجتمع المصري تتداخل فيها الرؤيا التاريخية بالرؤيا الاجتماعية .. وهي تجمع واقع ما بين ثورتي ١٩١٩ ــ ١٩٥٢ وقد انتهى المؤلف من اخر اجزائها « السكرية » قبل قيام ثورة ١٩٥٢ بشهرين .. وتوقف من بعدها عن الانتاج سبع سنوات ، وكانت هذه السنوات بطولها تحقق عند نجيب محفوظ الامال العريضة التي كان يحلم بها ويسجلها في اعماله المختلفة .

وكان توقف نجيب محفوظ في هذه الفترة بالذات يعلن عن ابتدائه مرحلة جديدة من رواياته .. نستطيع ان نطلق عليها مرحلة الرؤيا الفلسفية.

فقد حان للكاتب الكبير ان يتفلسف بعد رحلة طويلة عريضة في النفس البشرية بمختلف مراحلها .. فظهرت ــ اولاد حارتنا ــ اللص والكلاب ــ السمان والخريف ــ الطريق ــ الشحاذ .

وبهذه الروايات الخمس استطاع « نجيب محفوظ » ان ينطلق من الواقع الاجتماعي المحلى الى طرح وبحث ومعالجة قضايا انسانية عامة تتعلق بالدين والعلم والانسان والوجود .. فالصراع واضح جدا بين العلم والدين في «اولاد حارتنا» .

كذلك تعرض «اللص والكلاب» مشكلة اللص الشريف ــ سعيد مهران ــ من الظلم الاجتماعي وموقف الدين وموقف الرفض وعدم الجدوى منه .

واما « السمان والخريف » فتعرض مشكلة الاشتراكي الثوري الذي داهمته الثورة فحققت كل الاهداف والافكار بينما كان هذا البطل يحاول الضياع في لجة الجنس والانحراف والتصوف . ثم يقاسي « صابر » بطل « الطريق » المرارة وهو يبحث عن ابيه .. الرمز الكبير للكرامة والحماية والحرية والسلام..

واما روايته الخامسة «الشحاذ» فتعالج مسائل فكرية وفنية عامة وتضع حدا لكل هذه المسائل في سؤال متعدد الوجهات : ما جدوى الحياة ؟ .. وما جدوى الوجود .. ؟ وما جدوى الفن .. ؟

وبرواية « الشحاذ » ينهي نجيب محفوظ مرحلته الفلسفية ويعلن في حديث صحفي له انه على اعتاب تجربة جديدة اذ يقول : « ليس امامي الان الا ان انتحر او اتحول الى العبث » .

وبالفعل يبدأ مرحلة جديدة من العبث ــ واللا انتماء ــ والرفض في روايته الاخيرة « ثرثرة فوق النيل ».

وهي رواية فكرية بكل معنى الكلمة .. والافكار هي التي تتحرك وتتصارع داخل الرواية لا الاشخاص .. وهي في النهاية بحث في اعماق النفس البشرية وحلم طويل يوصل الانسان العابث اللا منتمي الى الطريق الجديد .



نجيب محفوظ

وشخصيات الرواية ذات مكانة مرموقة .. فمنهم مدير الحسابات ، والمحامي ، وزوج مثالي ، وصحفية .

يجتمعون كل مساء في العوامة ليسجلوا في الملكـــوت .. يجمعهم (الكيف) اذ يخدرهم وينسيهم عالمهم الخارجي الـــذي يفنون عمرهم في سبيل اللقمة والقوت .

وهم مجموعة من الساخطـين الرافضين للعصر بكل مقوماتـــه ، يمزقهم اللا انتماء ويواجهون الحياة بالعبث . ولكن العبث عنـد نجيب محفوظ بحث عن الحقيقة . من ذلك:

اوقف « انيس » احد ابطال القصة عن العمل لاهانتـه مديره ، وعندما يحال الى النيابة الاداريـة يدور الحوار التالي :

— ما اسمك بالكامل ؟

— انيس زكي بن آدم وحواء .

— **سنك ؟**

— ولدت بعد مولـد الارض بالف مليون سنة .

— **وظيفتك ؟**

— برومثيوس مسطولا .

— **مرتبك ؟**

— ما قيمته خمس وعشرون كيلو من اللحم البلدي .

ولقد اتفق نجيب محفوظ مـع الكاتب الايطالي « جيدو بيوفيني » حين قال هذا الاخير :

« ان القصة التقليدية تجد هوى عند الناس لانها تخاطب الجانب الساذج فيهم ، جانب ما قبل النقد او ما قبل الفلسفة والامانة تقتضينا اليوم ان نكف عن كتابة القصة التقليدية او الفلسفية التي تمتهن وظيفـة الفن الادبي فلا تقدم للانسـان حقيقته الصادقة بل تخدعـه وتوهمه .. بل يجب علينا ان نستقي مادتنا القصصية مـن التجربة المباشرة لمشكـلات الحياة المعاصرة ، تجربة واعية تقوم على البصيرة والفهم والنافذ للعلاقات المتشابكـة التي تتكون منها ازمة الانسان المعاصر » ..

لقد آن للقصة ان تكون وسيلة اكتشاف للواقع البشري » ..

ولعل نجيب محفوظ هو اول من فكر بتطوير القصة من تقليدية الـى جديدة دون ان يكف عن البحث في ازمة الانسان وغربته في عالم مشحون بالصراعات البشرية والعالمية وتهدده بالفناء والانمحاق .

ولقـــد آمن نجيب محفوظ في روايته الاخيرة « ثرثرة فوق النيل » بخروج الكاتب — تمشيا مع التطور الفني والفكري — من الهندســة التقليدية المحكمة للقصة الى عـالم واسع رحب يمارس فيه الانسـان انسانيته منطلقا من مبدا الحريـة والانفتاح .



في الطب :

● عالج الاطباء السوفيات خلال الاربع سنوات الماضيـة ٣٫٠٠٠ حالة وفاة كاملة توقف فيها القلب عن النبض كليا كما توقف التنفس وجريان الدم . ويقول الاحصاءات ان ٤٠ ٪ من تلك الحالات قد سجلت نجاحا تاما امكن فيه اعـادة القلب الى الخفقان الطبيعي ، وبالتالي اعادة الحياة الـى الميت بمعناها الطبيعي .

يقول هؤلاء الاطبـاء ان شرط النجـاح حتى الان هو محاولة اعادة القلب الى النبض بالطرق الاصطناعية قبل ان تبدأ خلايا الدماغ بالتحلل والاندثار لانعدام الدم والاكسجين

★★★

صَادق ... أو القدر

للكاتب الفرنسي الكبير

فولتير

بقلم : عصام عسيران

قرنان من الزمان قد مرا على ظهور هذه القصة الفلسفية الاخاذة، التي كان الكاتب الفرنسي الخالد « فولتير » قد استقى مادتها من تراث الادب العربي والشرقي عموما .. بعد ان شاقته ترجمة (الف ليلة وليلة) وراقته كثيرا ووجهته الى دراسة امور الشرق ، ففرق في هذه الدراسة الى أذنيه ، واخرج للناس قصصا شرقية كثيرة بارعة ، كهذه القصة .

وفولتير — الذي عاش بين عامي ١٦٩٤ و١٧٧٨ — سيطر بفكره على تيارات ثقافة القرن الثامن عشر في فرنسا ، وذلك بفضل التطابق التام الذي صدف قيامه بين تطوره الفكري وتطور الحياة الفكرية السائدة . وقد كان ، حتى عام ١٧٥٥ ، منصرفا الى الادب بوجه خاص . ولكنه بعد هذا التاريخ ، نزل الى ميدان الصراع الفلسفي الذي طبع النصف الثاني من القرن الثامن عشر بميسمه ، وأبلى فيه البلاء الحسن . وتميزت مسيرة حياته الطويلة باحكام النفي الصادرة ضده في فترات متقاربة .. نظرا لجرأته الكبيرة في التعبير عن سخطه ونقده ورأيه الاصلاحي ... حتى ارتأى ، في اواسط عمره المديد ، ان يقتني له بيتين قريبين من الحدود الفرنسية السويسرية ، بغية ان يجد في اي منهما ، عند الحاجة ، الملجأ الامين الذي يقيه غضب سلطات احد البلدين عليه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لقد كان مفكرا شغوفا بالحرية، مبشرا بالمبادىء الاصلاحيـــة الكبرى التي ساهمت فيما بعد ، بايقاد جذوة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ . وهو في انتقاده المر لعيوب السياســـة والدين والمجتمع ، يستخدم سلاحين غير متعادلي القوة تماما : سلاح النقد التاريخي ، وسلاح اثـــارة الشعور العام بالسخرية . وقد كان معروفـــا بتهجمه الجسور على الاوضاع الدينية في عصره ، وباعتدالـــه النسبي في انتقاداته للمؤسسات الاجتماعية .. وعلى الرغم من ان **فولتير** لم ينشىء مذهبا او منهجا معينا ، فانه ــ في النهاية ــ قد ساهم ، بدفاعـــه المتواصل المخلص عن جوهر الحقوق الحديثة ، في وضع تلك الحقوق موضع التنفيذ .

ترك فولتير ارثا ضخما من مراسلات ــ بلغ تعدادها اكثر من عشرة الاف رسالـــة ــ عكست ، بامانة تامة ، صورة صادقة لحياته وفكره .. كما نقلت احـــداث عصره المـــوار بالاحداث الرئيسية في دنيـــا الادب والفلسفة والسياسة .. وتمثل فيها ، خير تمثيـــل ، اسلوب فولتـــير ، المتميز بالوضوح ومسايرة السليقة ، والحيوية والبلاغـــة وعدم التكلف ..

وان كان فولتير قد قلل من شان مجتمعات عصره ــ لكثرة ما نادى بوجوب الشك في السلطة والحـــذر منها ، فانه مع ذلك ظل يدعو الـــى اصلاح تلك المجتمعات بـــدلا من ان يعمل على هدمها . وثابر على ارساء اسس ذلك الاصلاح ، وفق مبادىء مجتمعنا الحديث : كحرية الفكر المجرد والتكوين العقلي الذي يوفر السعادة والطمانينة لكل فرد ..

« زاديغ » .. صادق .. او القدر ..

وحين نشر فولتير قصته هذه، التي سماها « زاديغ .. او القدر » تكلف فنونا من الجهد والحيلة ليطبعها خارج فرنسا ، ولينشرها في فرنسا بعد ذلك ، وليستأنف طبعهـــا في فرنسا .. وذلك لما فيها من انتقادات قد تفسر ضده . اذ من المعتقد انـــه انما اتخذ قصته كلها وسيلة الى نقد الحياة الاوروبية عامة ، والحيـــاة الفرنسية خاصة .. كما اتخذ مدينة **بابل** رمزا لمدينة **باريس** ، وقصر بابل رمزا لقصر باريس . ومن اجل هذا ، اشفق من نسبة هذه القصة اليه .. ومن اجل هذا ، فتن الفرنسيون بهذه القصة في عصر **فولتير** ، وما زالوا يفتنون بها الى الان ! ..

نقل هذه القصة الى العربية ، الدكتور **طـــه حسين** ، قبل حوالي عشرين عاما ، واشار في مقدمتها الى بطلها ، فقال انه « فتى من اهـــل بابل ــ يسميه فولتير **زاديغ** ، ونسميه نحن صادقا ــ وهو فتى مثقف ممتاز، قد اختلفت عليـــه الاحداث وتعرض لكثير من المحن في وطنه اولا ، وفي الاوطان التي تغرب فيها بعد ذلك ، في مصر وفي بلاد العرب وفي جزيرة **سرنديب في سوريا** .. وكانت هـــذه الاحداث والمحن كلها مخالفة لمنطق الاشياء وطبيعة الحياة كما يراهـــا الناس . فقد كان يكافأ بالشر على الخير دائما ، وكان يستقبل ذلـــك بالحيرة والاذعان وبالصبر والاحتمال، حتى كوفىء آخر الامر بما يلائم ذكاءه ووفاءه وثقافته وبراعتـــه وصبره واحتماله ، فاصبح ملكا على الدولة البابلية العظمى » .

ويستنتج الدكتور **طـــه حسين** من ذلك ، ان القصة عرضا لمشكلة القضاء والقدر ــ كما يتصورهـــا الشرقيون ــ او كما خيل **لفولتير** ان الشرقيين يتصورونها . وفيها حـــل لهذه المشكلة على نحو مـــا تصوره الفلاسفة منذ اقدم العصور ، وهو هذا الحل الذي لا يحل شيئا ، والذي يلخص في ان الانسان اقصر عقـــلا واكل ذهنا من ان يفهم حكمة الخالق الذي ابدع العالم ووضع له ما يدبره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من القوانين . فما عليه الا ان يكد ويجد ويعمل الخير ما وسعه ان يعمل الخير ، ويجتنب الشر ما اتيح له ان يجتنب الشر .. ولا عليه بعد ذلك ان تسره الايـــام ان تسوءه ، وان تسخطه الاحداث او ترضيه ..

هذا ما نوه به طه حسين في مقدمة الترجمة العربية للقصة ولعله من الصعب علي ههنـــا اعطاء تلخيص واف لهذا الكتاب دون الانتقاص من روعة السياق الروائي ، واغفـــال بعض الاحداث المتشعبة عن القصة الرئيسية . اذ ان الاسلوب القصصي في (زاديـــغ) او (صادق) ، انما استقاه فولتير من النهج الروائي المتبـــع في المجاميع القصصية الشرقيـــة القديمة : وأعني به نهج سرد العديد من الحكايات الفرعيـــة الجانبية ، المنطلقة من تيـــار الرواية الرئيسي . واقرب مثل على ذلك : « كليلة ودمنة » لابن المقفع ، ومجموعة حكايات (بانشاتانترا) الهنديـــة .. وغيرهما ..

ومعلوم ان هـــذا النهج — في اكثاره من الاحداث الثانوية المستقلة عن المتن الروائي الاصيل — يجعل من مهمـــة التلخيص الوافي والعرض الامين ، عملا محفوفا بالمزالق ... وعلى الرغم من ذلك ، فـــلا تخلو المحاولة من طرافة وفائدة ..

« صادق » : فتى بابلي غني فاضل عاقل .. يرى في الزواج فضيلة تعصمه من الزلـــل ، فيسعى الى خطب ود حسناء بارعة الجمال ، تدعى (سميرا) ويتواعدان على الزواج . وبينا هما ذات مرة في نزهة خلوية ، اذ يهاجمهما فرسان ملثمون ، بغية اختطاف (سميرا) .. ولكن صادقا يتمكن من التغلب على المهاجمين بعد معركـــة ضارية ، تركت قرب عينـــه اليسرى جرحا عميقا .. بينما لم تخلف لدى خطيبته الا جراحا طفيفة ، سرعان من التأمت .

ولما طال الامل بجرح صادق دون ان يجد للشفاء سبيلا ، ذهب الرسل الى مدينـــة « منفيس » ، لـــدعوة طبيب شهير فيها يدعى (هرميس) . وقد لبى (هرميس) الدعوة ، واعلن — بعد فحص المريض — انه سيفقد عينه .. ولكنه كان دعيا جاهلا ، اذ لم يمض يومان على تصريحه « ذاك الخطير » حتى انفجر الدمل من تلقـــاء نفسه ، وبرىء صـــادق برءا تاما .

اثناء ذلك ، كانت (سميرا) قد علمت بما تنبأ **الطبيب الدجال لخطيبها من حتمية صيرورتـــه اعورا .. فتحول قلبها عنـــه على الفور ، واختارت لنفسها حبيبا اخر !!**

تألم صادق لهـــذا الجموح في عاطفة من احبها مخلصا وفداهـــا بروحه يوم تعرضت للاعتداء .. الا انه عزا ذلك الى كون (سميرا) من ربيبات القصور . واعتزم ، بالتالي، ان يتخذ له زوجا من بيئات الشعب. فاختار فتاة تسمى (ازورا) ، وعاش معها شهرا ملؤه العطف والحنان . ولكنه لاحظ فيها خفة وميلا شديـــدا الى الاعتقاد بان اعظم الشبان حظا من الجمال هم اصحاب الحظ العظيم من الفضيلة والذكـــاء . فراى ان يمتحنها بان يتصنع الموت ، وان يقوم صديق له جميل الطلعة ، بالوقوف الى جانبها في محنتها — بالاتفـــاق المسبق معه . واذا بالزوجة القلب ، لا تتورع — بعد قبولهـــا بالاقتران الفوري بهذا الصديق البهي الطلعة — عن ان توافق على نبش قبر زوجها **صادق** ، وجدع انف الراقد فيـــه ، ارضاء للحبيب الجديد .. !

ولم يطق صادق ، بالطبع ، متابعة معايشة تلك الزوجة الهوائية الميول .. فطلقها .. وطلب السعادة في درس الطبيعة . وكـــان يقول :

« ليس اسعد من رجل فيلسوف يقرأ في هـــذا الكتاب العظيم الذي نشره الله امام اعيننا ، وهو الطبيعة . فالحقائق التي يستكشفها القارىء خالصة له .. يغذو بها نفسه ويرفعها ، ويعيش هادئا مطمئنا ، لا يخاف من الناس شيئا ، ولا يتعرض لان تدنو منه زوجه الرفيقة به لتجدع انفه ! .. »

وفي سبيل الدراسة والتأمل ، اعتكف **صادق** في دار ريفية تقوم على شاطىء الفرات .

وبعد ان مرت عليه هناك عدة شهور ، خرج مرة ليتنزه في غابـــة قريبة .. فالتقى جنودا يبحثون عن ضالة لهم وهم في غاية القلق . وحين سألهم عن ضالتهم ، اخبروه بانهم يبحثون عن كلب صغير للملكة وجواد هارب للملك .. وهنا يسر **صـــادق** عليهم اوصافا مفصلة ودقيقة لهذين الحيوانين — رغم انه لم يرهما قط — وذلك استنادا لسعة علمه وتبحره في علم الفراسة . فما كان من جنود الحاشية الملكيـــة الا ان اعتقلوه وساقوه مخفورا الى القصر بتهمـــة السرقة واخفاء المسروقات الملكية . وكاد **صادق** ان يذوق الهلاك المحتوم لو لم ينقذه العثور على الكلب والجواد الضائعين .

وهنا يتأكد **لصادق** مدى الخطر الذي يتعرض له الانسان حين يكون واسع العلم .. فيعاهد نفسه على الا يقول ما يرى حين تسنح له اول فرصة . وقد سنحت هذه الفرصة بالفعل بعد وقت قصير . فقد هرب سجين من سجن الدولـــة ومر من تحت نافذته . فلما سئل **صـــادق** ، اجاب بانه لم ير شيئا . ولكن الحجة اقيمت عليه انه كان ينظر من نافذته.. فقضي عليه بغرامة قدرها **٥٠٠ مثقال**

من الذهب !! .. قال **صادق** حينئذ لنفسه : **« يا لله ! ان الانسان لخليق بالرثاء حين يتنزه في غابة مر بها كلب الملكة وجواد الملك ، وانه لخطر ان ينظر الانسان من نافذته ، وانه لعسير ان يسعد الانسان في هذه الحياة »** .

وتتابع الاحداث والمصادفات على **صادق** ، فيكاد ان يلقى حتفه بسبب أبيات شعرية ، بترت لوحتها ففسرها الوشاة على انها هجاء مقذع للملك . ولكن القدر يراف به فيعثر على الجزء المبتور من اللوحة .. وينجو **صادق** ، ليحتل اثر ذلك ارفع مركز في البلاط الملكي : **اذ يصبح نديم الملك والملكة وانيسهما وجليسهما المأثور . وما يلبث ان يعين وزيرا للملك ، ذا سلطة وسلطان .**

ويحسب **صادق** انه قد حظي بالسعادة اخيرا .. ولكنه كان مخطئا في الحسبان . فقد عرف الملك ، عن طريق الحساد والوشاة ، بميل وزيره الجديد لزوجه الملكة (استارتيه) .. وكاد ان يفتك بالخائنين معا ، لو لم يبادر (كادور) — الصديق الوفي **لصادق** — الى تهريبه من المدينة كلها تحت جنح الظلام ، والى اخفاء الملكة (استارتيه) في احد الكهوف ريثما تمر العاصفة .

ويهيم صادق في الارض شريدا طريدا .. حتى يصل به الطواف الى مشارف حدود مصر ، حيث يخفلنجدة امراة كان بعلها يضربها ضربا مبرحا .. فيلتحم مع الرجل في معركة وحشية تسفر عن مقتل الرجل الفظ . ولكن الزوجة تثور ، ثم يختطفها جنود بابليون ، حاسبين انها الملكة الهاربة (استارتيه) . ويساق صاحبنا المسكين **صادق** الى حكام القرية المصرية القريبة .. وهنا يحكم عليه بان يباع عبدا رقيقا في سوق النخاسة فيشتريه تاجر عربي من شبه الجزيرة اسمه (سيتوك) ويضمه الى قافلة عبيده وخدمه ، ويرتحل الجميع عائدين الى الوطن . وفي الطريق ، يتوسم (سيتوك) النجابة والحكمة في عبده الجديد **صادق** ، فيقربه منه ، ويعفيه من حمل الاثقال . وهناك في مضارب القبيلة ، يبدي **صادق** من ضروب الحكمة ما يبوؤه للشهرة وذيوع الصيت الحسن .. وذلك في حواد ثكثيرة متفرقة ..

ويبعث (سيتوك) بصادق — بعد ان اعتقه من عبوديته — الى جزيرة سرنديب ، حيث يحظى من جديد بمنزلة رفيعة لدى ملكها ، لما قدم صادق له من خدمات ونصائح عادت على الملكة باجل الفوائد .

وفي البصرة ، يلتقي **صادق** بمختلف التجار القادمين من اقاصي الدنيا المعروفة يومذاك .. ثم يكتشف في طريق عودته ، مخبأ الملكة (استارتيه) التي احبها ولا يزال يحبها من صميم قلبه . فينتشي طربا وفرحا للمفاجأة السعيدة .. ولكن الصعوبات والعراقيل المتنوعة ، لا تلبث ان تعترض سبيله .. فيذللها بعد ان تمر به كذلك حوادث اخرى اغرب مما سبقها .

وتطالعنا في الفصل العشرين من الكتاب ، وتحت عنوان (الناسك) قصة شبيهة بالقصة القرآنية الواردة في سورة الكهف (من الآية ٦٠ حتى ٨٢) ، والمتحدثة عن مرافقة الفتى للنبي موسى ، عليه السلام ، واستغرابه التصرفات الصادرة عن رفيق دربه الجليل .. وهي تصرفات لها ما يبررها لدى من يحيط بما وراءها علما ، بينما يعجز عن ذلك غير الانبياء والملهمين .

وفي الفصل الحادي والعشرين — وهو الفصل الاخير من الكتاب — يروي لنا **فولتير** ، التطورات والمفاجآت الشيقة التي ادت في النهاية الى عودة **صادق الى بابل معززا مكرما ومنتصرا على مناوئيه جميعا ، وبالتالي ، الى زواجه من صفية فؤاده وحبيبته الاثيرة الملكة (استارتيه) .. وارتقائه عرش بابل بعد طول طواف وطول تجوال وتخبط وتشرد في مشارق الهموم ومغاربها !!**

عصام عسيران



في الاختراعات :

● تمكن المهندسون في امركا من ابتكار آلة عجيبة تستطيع ان « تقرأ » ٦٥٠ سطرا مطبوعا او مضروبا على الالة الكاتبة في الدقيقة الواحدة — اي حوالى ٢٠ صفحة من كتاب عادي الحجم — وقد استخدمت اول آلة في دائرة الضمان الاجتماعي التابعة لحكومة الولايات المتحدة في مدينة « بلتيمور » وذلك لتختصر عمل ١٤٠ موظفا يعملون عادة في تسجيل التقارير والجداول بواسطة البطاقة المثقوبة ونقلها من ثم على اشرطة تسجيل بمغنطة للحفظ في الارشيف . الالة الجديدة تقرأ المعلومات المسجلة على البطاقة المثقوبة بسرعة هائلة وتسجلها على اشرطة ممغنطة بحيث يمكن الاستماع اليها او اعادتها الى البطاقة المثقوبة .

★★★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأي في النقد

بقلم : جوليان باندا

ترجمة : حسين محمد ابراهيم

يهمني الاثر الادبي اكثر مما يهمني مؤلفه . كم اتمنى ان تقرأ آثاري كما لو انها وجدت في زجاجة ملقاة في البحر من غير توقيع . احب ان تكون هناك آثار لا نعرف شيئا عن مؤلفيها : ملحمة هوميروس وقصيدة لوكريس وكتاب الاقتداء بالمسيح ومآسي شكسبير .

هذه العبارة التي اتخذت موضوعا للدراسة في دار المعلمين العليا منذ سنوات توجز نظريتي في النقد . والحق ان جميع الطلاب الذين تناولوا هذه القضية قد رفضوا هذا الرأي . لقد كانوا يريدون ان تكون الآثار مرتبطة باشخاص يستطيعون ان يتحدثوا عنهم . والواقع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اننا نضع يدنا هنا على خطا شائع في هذه الايام . فان كثيرين يخلطون بين دراسة الاثر الإدبي وبين دراسة مؤلفه ، وبدلا من ان يقوموا بنقد ادبي يقومون بدراسة سيكولوجية . وهذا شديد الوضوح الان بالنسبة للكتب التي تصدر عن (بروست) فان المؤلفين يبرزون فيها موروثه الروائي والتربية التي تلقاها والوان عذابه الجسمية ، وساعة نهوضه في الصباح وساعة نومه وطريقة ارتداء ملابسه وطعامه المفضل ، اما اثاره وقيمتها في ذاتها فالحديث عنها جد قليل ، على الرغم من ان دراسة هذه الاثار هي التي تشكل النقد الادبي .

وقد يقول قائل : ان معرفة شخص المؤلف ضرورية لمعرفة وفهم تكوين اثره الادبي . والحقيقة ان تكوين اثر ما شيء ، وهذا الاثر مصنوعا شيء اخر ، وان هذا الاثر المصنوع هو موضوع النقد الادبي : تقييمه كحادث ادبي وقيمة جمالية . وانا لا ادري ماذا يهمني في تقييم رواية (سلامبو) ان اعرف ان (فلوبير) سقط من شاهق ، او في تقييم (تشارون هارون) ان اعرف ان (بيرون) كان يحب اخته من ابيه .

ان المسؤول الاول هنا هو (سانت بيف) الذي يهتم باشخاص المؤلفين اكثر من اهتمامه باثارهم . وبالحادثة السيكولوجية اكثر من اهتمامه بالحادثة الادبية في حد ذاتها . ان من البديهي ان ماساة (فيدر) تعيش حياة ذاتية مستقلة عن حياة مؤلفها (راسين) . فلنتامل المكان الذي يخصصه الناقد الكبير لاشخاص هذه المأساة لا اهمية لهم عنده على الاطلاق من حيث القيمة الادبية والفنية ، ولكنهم يوفرون له الفرصة لتصويرهم ووصفهم . وهذا الاهتمام بتكوين الاثر لا الاثر ذاته ، يؤكده مفكر فرنسي اخر هو (جاستون باشولار) اذ يصرح في كتابه (الماء والاحلام) عند الحديث عن قصيدة (لادجار آلنبو) انه لا يهتم مطلقا بهذه القصيدة كما يراها ، وانما بالنشاط السيكولوجي الذي ولدها . كما يؤكد نفس الراي ايضا (اندريه جيد) اذ يصرح ان الذي يهمه هو الانفعال الذي خلق الاثر لا التعبير عنه ، هذا التعبير الذي يبدو له شيئا ميتا مجمدا . والحق ان هذا (الشيء المجمد) هو الذي يكون الاثر ، والنقد انما هو درسه وتمحيصه .

اما الحركة التي تدعو الى الاهتمام بالاشخاص اكثر من الاهتمام بالاثار فان سببها بسيط جدا ، وهو ان الاشخاص اكثر تسلية وان الجماهير تريد ان تتسلى . ويبقى ان نعرف اذا كانت مهمة النقد هي ان يتبع الجماهير ويسايرها ام لا . ان تحليل نفسية مؤلف ما امر مهم جدا . ولكني اقول ان النقد الادبي امر مختلف تماما عن ذلك .

ذكرت ان الذين يتكلمون عن (بروست) يتحدثون عن الرجل اكثر مما يتحدثون عن اعماله . وهم اذا تحدثوا عنها فلكي يرفعوها الى السماء . وهنا نعرض لآفة اخرى من آفات النقد المعاصر : هي الحديث عن بعض المؤلفين بلهجة تقريظ مع غض النظر الى نقائصهم التي ليسوا هم منزهين عنها .

وهناك مفهوم للنقد يلقي نجاحا كبيرا في الوقت الحاضر ويبدو لي انه مخطىء هو الاخر ، وهو المفهوم الذي يقول بان على الناقد ان يتلاءم ويشارك المؤلف الذي ينقده، وهذه نظرية يعرضها كل من (شارل دبيو) و(جابرييل مارسيل) . وانا اقر ان على الناقد ان يبدأ بهذه المشاركة . ولكنني ارى ان عليه بعد ذلك ان يخرج منها ليرتفع فوق اثر المؤلف ويحكم عليه . واحسب ان (دبيو) ورفاقه يردون بان هذا الامر الثاني ليس الا امتدادا للاول ، وهذا ما انكره انكارا ، فانا ارى ان التفكير في الحياة ليس الامتداد الطبيعي للحياة ولكنه نشاط من طبيعة اخرى .

وقد يسال سائل : (كيف تشرح هذه الظاهرة في ان بعض المؤلفين ولا سيما الشعراء نقادا ممتازين ؟) ويذكر هنا اسم (بودلير) على سبيل المثال ، فاجيبهم بكل بساطة ان (بودلير) قد اوتي ميزة الجمع بين موهبة الشعر الى جوار موهبة النقد . وهذا لا يمنع ان تكون هاتان الموهبتان مختلفتين تماما .

واعتراض اخر اهم : (انك اذ تفرق بين المؤلف والناقد تقر ان الناقد ليس خلاقا) . والحق ان نشاط الناقد يستطيع ان يكو خلاقا (كناقد) فبوسعه ا يريك اثرا معروفا جدا م زاوية جديدة تماما ، وا يضع يديك على صلات ا تكن تعرفها بين اثار مختلف وهذا هو شان النقد المقار الذي يبدو لي ارفع الوا النقد .

وهناك شكل اخر من النق الذي يتذوقه الناس كثيرا ولكنه يبدو لي غير ذي قيمة وهو ما ادعوه (بالنقد العاطفي) ، الذي هو عبارة عن تقديس مبالغ فيه لكاتب كبير يصبح تحت يد الناقد بمنجى عن كل نقد صحيح .

واود اخيرا ان اشير الى مزيتين اعتقد انهما ضروريتان للناقد الحقيقي . اولاهما تتضح من مقارنة مع عبارة قالها (لوسيان دي ساموسات) عن المؤرخ : « عليه الا يكون له وطن ابدا ، عليه ان يرتفع الى الحقيقة من فوق حبه لامته » . وكذلك اقول ان على الناقد ان يبحث عن الحقيقة وهو ينفصل عن حبه وكلفه بعصره . ولنذكر بهذه المناسبة ماخذا ينبغي ان يوجه الى النقد . فانهم ينعون عليه دائما انه لم يكتشف رجالا عظاما في وقتهم : (كبودلير وفرلين ورامبو ومالارميه) ، ولكنهم ينسون ان النقد نصب تماثيل لآلهة زائفة امثال (دوليل . دولافين . هنري باتاي) وسواهم . ان على النقد ان يحصن القيمة الحقيقية للاثار الادبية من اهواء الجماهير . ولكنه يتملق هذه الايام الاهواء بدلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من ان يقف في وجهها . ولهذا نجـد كثيرين يقارنون الان بفلوبير وبلزاك وديكارت ، لانه يجب ان يكون لهـذا الجيل روائيوه وفلاسفته الكبار . وان من مهمة النقد اليوم ان يفضح هذا المفهوم الخاطىء .

ثم ان احترام الناقد لتقييم الجماهير يلبس شكلا اخر ارى فيه الحكم بالاعدام على هذا النقد . فهناك نقـاد يعتقدون ان مقياس نجـاح اثر ما هو سعة انتشاره ، وهذا لون منحط جدا مـن النقد . ان على النقد ان يقيم تقريره على مقيـاس شرطـه الاول ان يكون مستقلا عن موافقة الجماهير او استنكارها .

والمزية الثانية التي ينبغي ان يتحلى بها الناقد ، وهي قريبـة من الاولى ، هي النزاهة والتجرد في النقد . ان على الناقد ان يتجـاوز شخصه حين يريد ان ينقد. وقد ضرب لنا (جول لوميتر) مثلا طيبا في ذلك حين نقـد اثار (اميل زولا) فبدأ بالقول انه لا يكره شيئا كما يكره فن هذا الروائي . وانه مع ذلك سيجد في كبح جمـاح هذه الكراهية ويتناول اثاره بالتجرد والنزاهة . وقـد كتب في الواقع ثلاث مقالات رائعة في تفهمها وعدالتها . وانا اعتقد ان الناقـد لا يستطيع ان يستعرض حرية فكر كهذه الحريـة . فمن المفهوم ان التجرد الكلـي مستحيل ، وان اسقـاط الذاتية من النقـد ليس الا شيئا مثاليا ، ولكن ينبغي مع ذلك ان يجهد الكاتب في هذا السبيل .

عذاب

شعر : يحيى علي

يـا لايـام مريرات مضت ... هي في قلبي سهـام وندوب
يـا لهـا من لحظـات مرة ... صوحت زهري، وافنت كل طيب
لحظات دون لقيـا عشتهـا ... ذاهـلا يحدوني القلب الكئيب
فـاذا سرت فشيـخ مطرق ... شرب المر ، وعضته الخطوب
واذا نمت تلظى خـافقي ... وطواني وجـع ثـم نحيب
لحظـات عشت فيها يائسا : ... لا أنيس ، لا معين ، لا حبيب
أتلـوى وفـؤادي مثقـل ... آه قـد عـز دواء وطبيب
وبذهني ذكريـات حلـوة ... كلمـا جئت عليها كالغريب
عصر الهم عروقي وبـدت ... كل دنيـاي امامي في غروب

لست أدري أو حظي هكـذا ... أم هو الحب ام الدنيا كروب ؟
لم أشقى ، وفؤادي ناصع ، ... ويموت الزهر والشر يؤوب ؟
لم احظى مثـل قفر مجدب ... وحياتي بؤسها روض خصيب ؟
لم لا القى جوابا شافيـا ... هل فنى كـل عليم ومجيب ؟
ام تـرى اللغز سخيف مبهم ... أم سكرنـا بترانيم الغيوب ؟

أي فؤادي هذه الدنيـا فتى ... جاهل بـل أحمق غـير ربيب
يكسر الشيء فيلهو ضاحكـا ... ثم يبكيـه دم منـه ثغوب
فتحمل جورهـا مصطبرا ... وتضاحك ان قست فهي لعوب
وابتسم في خطبهـا سخرية ... ذاك أجدى ايها العاني السليب

ان من رام هوى من كـاعب ... فليطق من دلهـا كل عجيب !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل الرحلة الأخيرة

وَلِيد أبوبَكرْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ صباح الخير !
وشفت رحلة الاضواء عن ليل قتلناه
وفي عيني ، في عينيك ، بعض من بقاياه
وكانت رحلة أولى :
لمسنا متعة الجوال وهو يشارف القمة
وعشنا فرحة الصحراء حين تزورها غيمة
عصرنا الليل احلاما مزوقة وافراحا
شربنا الليل اقداحا
وخدرنا نجوم الليل بالاهات
رأينا الجنة الخضراء رؤيا العين
صاغ الحب من اوهامنا جنات
بها اخضرت سفوح الليل ..
أينع زهرها لوزا وتفاحا
... وشف الفجر عن ليل قتلناه
فخلف عندنا نهرا من الحسرات
وبحرا عاصف الامواج بالتخمة

★ ★ ★

ـ صباح الخير ، يا محبوبتي السمراء ، يا قدري
ـ هنا ميعادنا ، في ليلنا التالي ، مع القمر

★ ★ ★

ـ مساء الخير ، يا قمري ..
نعيد الرحلة الاولى
ـ مساء الخير ..
نعيد الرحلة الاولى ..
وكنت احس ان الليل دوامه
وان نجومه آهات شيخ مل أيامه
وأن ضياء هذا الفجر يكشف رحلة السأم
وتبتسمين .. تبتسمين في ذل وفي ألم :
رماد ما احترقناه
ووهم ما نسجناه
فهل تنهي لنا الايام رحلتنا بلا ندم ؟ !

★ ★ ★

أكانت رحلتي الاولى ؟ !
« أحبك » صفتها في الليل مرات ومرات
ولكن لهاثها المبحوح مزروعا بآهاتي
ومثلت القوي لمن لمست بقلبها ضعفا
ومثلت الضعيف لمن رأيت بعينها عطفا
خلقت لكل سانحة تمر بلحظتي وصفا :



شربت البحر من عينين زرقاوين
وأسقيت العيون السود ماء البحر
•• وعدت •• ورحلتي ظمئي
ويفضح زيف ما اخفيت ضوء الفجر

★ ★ ★

وأنت بخاطري كالشمس ، شلال من الطهر
بريء نوره معطاء
يغسلني من الشيطان والسحر
الوذ به اذا ما ضعت في بحر من الليل
فيغمرني بافياء نديات من الفجر

★ ★ ★

عصا الترحال يا قديستي قد اتعبت عمري ••
اكسرها •• وانهي رحلتي في شاطىء الخير ؟

وليد ابو بكر

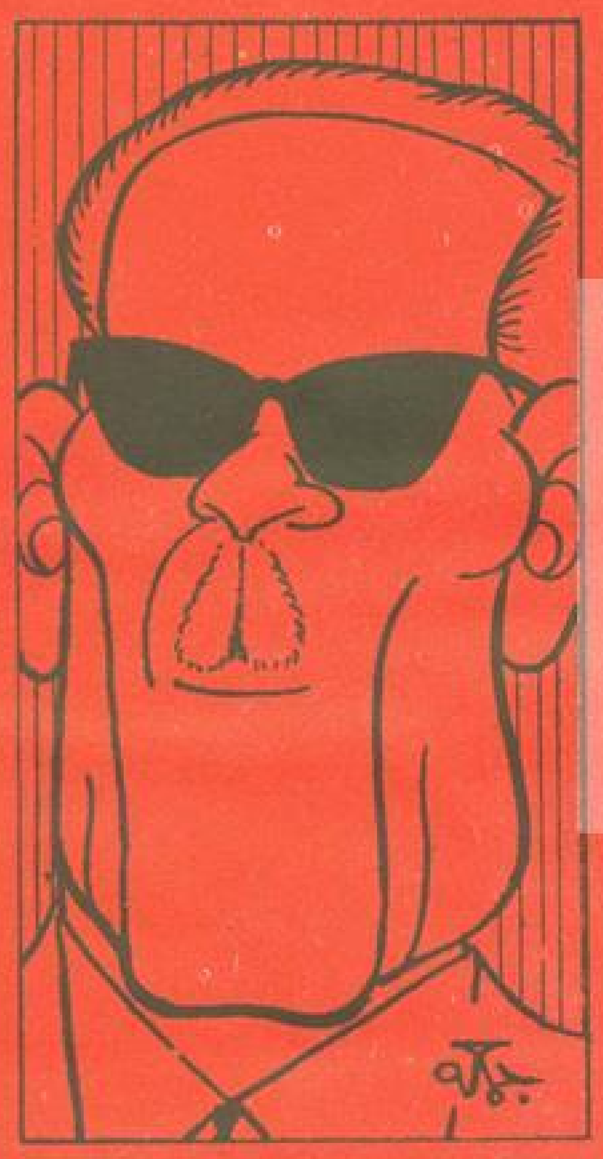
الحد الفاصل بين الفن

الحد الفاصل بين الفن والعلم آخذ بالتضاؤل والانكماش وما اصطلح الاقدمون على التميز به بين هاتين المعالمين الانسانيتين قد بهت لونه وزاغت خطوطه وتشابكت فيه المسالك، الدليل على ذلك لا يحتاج الى برهان ان تنفتنا الى الشعر المعاصر مثلا .

نسمع الشعر اليوم يشنف اذاننا بموسيقة المصنع والسيارة والطائرة ، ويصف الصاروخ وما اتم الانسان من معجزات في ميادين العلوم التطبيقية فنحس ان الشعر غير بعيد عن التطور التكنيكي ، ولا القصة بعيدة ، كذلك في النحت والرسم والتصوير . حتى الموسيقى لم تعد في عصرنا هذا تصور الجمل والخيمة ومسيرة القوافل بقدر ما هي صورة عن صخب المصر او مستمدة من احتياجاته المتطورة دوما وابدا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأيام



وفن الترجمة الذاتية

بقلم
محمد حسن
عبد الله



ARCHIVE
http://Archive-beta.Sakhrit.com

لا يستطيع الدارس لاي فن من الفنون التي تتخذ من الانسان مجالا لاهتمامها ، ان يعبر بطه حسين ، دون ان يتوقف عنده ، وقفة طويلة او قصيرة . فطه حسين علامة شامخة في عصرنا الحديث ، قاطعة الدلالة على قدرة الانسان ، وما يستطيع ان يصنعه اذا وهب الارادة والمحاولة . وقد الف طه حسين في الادب تاريخا ونقدا ، وفي الحضارة ، والتربية ، والتاريخ ، والفلسفة ، والاجتماع ، كما زاول كتابة القصة ، والشعر . وهو يذكر الان كصاحب اراء اصيلة وجديدة في هذه الفنون التي المحت اليها ، كما يذكر كاخير بين الكتاب الموسوعيين الذين لا يشغلهم تخصصهم في فن من فنون المعرفة بالانسان ، عن توسيع دائرة المعرفة، والاسهام في اكثر من ميدان ، ويذكر **اخيرا كرائد لاسلوب جديد ، عرف به** ونسب **اليه ، وكصاحب اول ثورة فكرية عربية في العصر الحديث ، تشهد لها تآليفه المتنوعة ، وموقفه الجرىء من التراث ، ودعواته التجديدية المستمرة ، ثم اخيرا .. ذلك المثل الرائع الذي قدمه بحياته وسيرته ومسلكه ، فقد كان محققا للتوازن العبقري بين ما يطلب منه كمفكر واديب ، وبين ما هو حتم عليه من المشاركة في الحياة اليومية المتغيرة والحياة الثقافية الدارجة ، والحياة السياسية المتلونة .**

● من الكتاب الى السربون

وقد ولد طه حسين سنة ١٨٨٩ م ، في قرية صغيرة قريبة من مغاغة الواقعة على الجانب الايسر للنيل ، في محافظة المنيا . وكان ابوه موظفا صغيرا في شركة زراعية من تلك الشركات التي تحتل وسط الصعيد ، تزرع قصب السكر ، وتصنعه في الوقت نفسه . وقد كان طه حسين السابع بين اخوته الثلاثة عشر ، وطل موقعه بين هذا العدد الضخم من الاخوة والاخوات ، مضافا الى فقد بصره ، كان من اعمق المؤثرات في تفكيره ، وتكوينه النفسي بوجه خاص . وقد تلقى طه حسين بواكر تعليمه كما كان يتعلم ابناء القرى في عصره ، فالكتاب ، لحفظ القرآن ، هو المصدر الاول والاساسي للمعرفة. الا انه تجاوز الكتاب ، فدخل الازهر سنة ١٩٠٢ م ، وفي الازهر درس العلوم العربية والشرعية ، وتسللت بذور الثورة الفكرية الى نفسه من خلال تجاربه مع اساتذته ، ووسائلهم العقيمة في الفهم والعرض والالقاء . وكان محمد عبده قد سدد سهام نقده الى مناهج الازهر من قبل ، وقاد تلاميذه حركة احياء وتجديد في مناحي المعرفة المختلفة ، كقاسم امين ، ولطفي السيد ، فتتلمذ طه حسين على يد هذا الاخير ، وان كان ينبه دائما الى اعجابه باول المجددين الذين درس عليهم ، وهو الشيخ سيد المرصفى ، الذي قرا عليه كامل المبرد، وامالي القالي ، وحماسة ابي تمام ، وكان تدريس الادب في الازهر ، في ذلك العصر ، بدعة تستجلب السخرية والاستهانة والعداء . وقد كان من ثمار اللقاء بين لطفي السيد وطه حسين ان بدا الاخير يكتب مقالات في « الجريدة » وهي صحيفة كان يديرها لطفي السيد . وقد جرت عليه مقالاته كثيرا من المشكلات مع الازهريين ، لانه هاجم مناهجهم ، وكان ذلك سببا في حرمانه من نيل شهادة العالمية حين تقدم لامتحانها . ويبدو ان طه حسين كان عازما على ترك الازهر ، او هو لم يفاجأ بتخلي الازهر عنه ، فقد كان هو بدأ التخلي عن الازهر ، اذ انتظم في الدراسة بالجامعة المصرية ، الاهلية ، التي اسست سنة ١٩٠٨ م — وهي التي سميت بجامعة القاهرة فيما بعد — وكان جل اساتذتها من المستشرقين ، والمجددين من المصريين كحفني ناصف ومحمد الخضري ، وقد درس طه حسين عليهما ، الا ان تتلمذه على يد



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المستشرق « نللينو » امتد واستمر حتى حصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩١٤ عن اطروحة بعنوان « ذكرى ابي العلاء » ، وبعدها سافر الى فرنسا ، ودرس في مونبيليه ، والسربون ، والكولج دي فرانس ، وكان حصاد ذلك رسالته التي نال عليها الدكتوراه من السربون ، عن « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » والمعرفة باليونانية واللاتينية . وعاد ليشغل وظيفة استاذ بكلية الاداب سنة ١٩٢٤ وقد صارت الجامعة حكومية ، ولم تسلم حياته في الجامعة من زوابع يثيرها او تثار عليه ، لجراته في الدعوة الى التجديد تارة ، او لعدم استسلامه لاغراض الساسة والسياسة تارة اخرى . فعزل وعاد اكثر من مرة ، ثم انتهى الى وزارة المعارف .. وهو الان رئيس المجمع اللغوي . وقد نال درجات دكتوراه من روما واثينا وليون ، ومدريد واكسفورد ، تقديرا لجهوده في خدمة الثقافة العربية والاسلامية ، بل في خدمة الحضارة الانسانية بوجه عام .

● «الايام» .. رواية ام مذكرات

واذا كان طه حسين علامة على عصرنا وثقافتنا العربية المعاصرة ، فان كتابه « الايام » ينفرد بين كتبه ودراساته بمكانة خاصة ، اكتسبها بعلاقته بحياة طه حسين اولا ، وباسلوبه الممتاز ثانيا ، وبتصويره الحي ولوحاته المعبرة ، ولمساته الانسانية ثالثا واخيرا . والكتاب — باختصار شديد — يمثل ويصور حقبة من طفولة طه حسين وصباه ، وعلى وجه التحديد ، يصور حياته بين الخامسة والثالثة عشرة من عمره . واذا كانت طفولته هي المحور الرئيسي لهذا العمل الفني ، فان اهتمامه لم يقف عند ذاته ، وانما تجاوزها الى من كانت له بهم علاقة ، بل اتسعت اللوحة احيانا حتى اشتملت القرية ، وصورت من خلالها ريف مصر كله اواخر القرن الماضي ، وما كانت تغص به حياته من نظم وتقاليد وخرافات تسري في حياة الناس مسرى العقائد .

واول ما تقع عليه العين في تصفح هذا الكتاب ، هو عنوانه « الايام » !! ولا بد ان يثور تساؤل : الى اي فن ينتمي « الايام » ؟ هل يمكن اعتباره قصة ، او ترجمة ذاتية؟ او هو رواية تاريخية ؟ بل لعله من ادب الاعترافات ، وربما امكن ان نضيفه الى بعض ابحاث مؤلفه في الادب والاجتماع !!

والذي احب ان انبه اليه هنا ان انتماء الكتاب الى « شكل » معين، من اشكال الفنون الادبية ليس مسالة على الهامش ، فمن طبيعة العملية التحليلية ان تحسن الغوص وراء الدوافع والنزعات ، ومن شأن العملية النقدية ان يعرض الكتاب محكوما بقواعد فنية اصيلة مستقرة ، وان يحاسب على اساس من انتمائه ، وان يأخذ مكانه بعد ذلك في التيار العام ، المستمر لفنه ، فنرى كيف افاد وماذا افاد ، وكيف اضاف وماذا اضاف ؟!

وعلى سبيل الاسقاط لا يمكن اعتبار « الايام » رواية تاريخية لاعتبارات عديدة ، فمؤلفه ماثل فيه ، فضلا عن انه يمثل فترة قريبة ما تزال حية ، ثم هو اخيرا لا يصور العصر باجمعه ، بل لا يصوره في اهم ملامحه وابرز قسماته ، وانما اختار « بيئة خاصة » وصور بعض جوانب الحياة فيها . والكتاب بمعنى اخر ليس من كتب « الاعترافات » او « اليوميات » — على الرغم من عنوانه الذي يومىء الى هذا المعنى الاخير — « فعنصر الاختيار ينفي عن الكتاب كونه مجرد يوميات او مذكرات ، كما ان خشية المؤلف من الصراحة الكاملة ينفي عن الكتاب كونه مجرد مجموعة من الاعترافات » . وازيد القول وضوحا بان كاتب اليوميات يسجل ما يعبر به من احداث ايا كان نوع هذه الاحداث واهميتها ، دون اهتمام بايجاد رابطة بين حدث واخر ، وكاتب الاعترافات لا يخفى ما ينال من صورته المتخيلة او يشين سيرته. وطه حسين اهتم « بتصميم » كتابه لا شك في ذلك ، فالرابطة واضحة بين كل فصل وبين سابقه ولاحقه ، وهذه الرابطة لا تقف عند « استمرار » شخصية « الصبي » من اول الكتاب الى نهايته ، وانما هي موجودة ايضا في هذا النمو الواضح للحوادث ، واطرادها وتماسكها ، وفي هذا الجو العام الذي تتحرك فيه الاحداث ، وفي هذا التنوع المتناسق بين الشخصيات . وعملية « الانتخاب » او « الاختيار » واضحة ايضا ، وقد اعترف المؤلف بانه لم يذكر كل شيء ، ففي حديثه الى ابنته في نهاية الكتاب يقول « نعم ! واني لاعرف ان فيك عبث الاطفال وميلهم الى اللهو والضحك وشيئا من قسوتهم ، واني لاخشى يا ابنتي ان حدثتك بما كان عليه ابوك في بعض اطوار صباه ان تضحكي منه قاسية لاهية . وما احب ان يضحك طفل من ابيه ، وما احب ان يلهو به او يقسو عليه . ومع ذلك فقد عرفت اباك في طور من اطوار حياته استطيع ان احدثك به دون ان اثير في نفسك حزنا ، ودون ان اغريك بالضحك او اللهو » والانتخاب والاختيار هو اساس الابداع الفني ودعامته ، فالاديب لا يروي « كل » مشاهداته ، ولا يقص « جميع » ما حدث ، ولا يصور الحقيقة « كل » الحقيقة ، وانما يختار من ذلك ما يخدم فكرته ، وما يجلو آراءه ، وما يتناسق والجو العام ، وما يتآزر مع غيره من مشاهد العمل الفني ، في وحدة متكاملة ، وبناء متماسك .

ولقد سارت حياة طه حسين الثقافية في خطين متوازيين رئيسيين، بين الادب والاجتماع . ورسالته الثانية التي تقدم بها للسربون عن « ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاهد ذلك ، وحديثه عن « مستقبل الثقافة » شاهد آخر ، وقد تسلل هذا النفس الى « الايام » اكثر من مرة ، فحين تعرض لبعض مشكلات طفولة ، وبخاصة تناول الطعام ، تطرق الى حياة ابي العلاء ،(٢٠ــ٢١) وقدرته على فهمه لمشابهة بينهما . وحين يذكر مصادر معرفته الاولى ، يذكر ميل نساء الريف في مصر الى التعديد والتلهي به (٢٥ ــ ٢٦) وفي صفحات طويلة (٧٩ ...) يتحدث عن منزلة العلماء في الريف ، ويقسمهم ، ويكشف عن عقدهم وزيفهم ، ويلح عليه ابن خلدون الحاحا خاصا ، فيذكره مرة اخرى (٩٨) في القول باباحة التصوف وتحريم السحر مع قرب الوسيلة والصورة . هذه الامتدادات خارج الجو العام للكتاب جاءت من اهتمامات المؤلف بالجوانب الاجتماعية ،ولعلنا لا نتعجل الحكم حين نقول انها اساءت الى العنصر الروائي في الكتاب ، وجعلته ــ في هذه الصفحات بخاصة ــ اقرب ما يكون الى البحث الاجتماعي ، والذي يتأمل اطراد الحوادث يجد الاربعة عشر فصلا الاولى تتسم بالحيوية والتدفق والتماسك ، ويشملها اطار عام ، وعبق خاص ، وتتبلور فيها الحوادث حول الصبي ومن يتصلون به اتصالا مباشرا ، لكن هذا الامتداد الى بحث الظواهر الاجتماعية في الريف المصري ما لبث ان اخرجنا من هذا الجو ، وتوقفت الحركة او كادت ، وجمدت الشخصيات بعد ان كانت حية متحركة واختفى الحوار وغلب السرد ، الى ان قفز المؤلف سنوات عديدة ليتحدث الى ابنته حديثا طويلا رائقا عذبا ، استعاد به طرافة الكتاب وعذوبته فكان لحن الختام .

واذا كان صاحب الكتاب لم يقدمه على انه « رواية » فان العنصر الروائي واضح فيه يتمثل في الاخذ بمبدأ الاختيار ، وفي هذا الانسجام الواضح بين الحوادث والمواقف التي وقع عليها الاختيار ، وفي تنوع الشخصيات وتعددها ، وفي هذه الصور الحية التي صور بها بعضا من عادات الريف وتقاليده ، وفي اجتماع ذلك كله داخل اطار عام ، يبدأ بسيطا ، ثم يأخذ في التشعب والاتساع حتى ينتقل من « الصبي » ومحاولاته لاكتشاف عالمه الصغير بحواسه الناقصة ، الى القرية وادوائها ومشكلاتها ، ثم ينتهي الى « الصبي » مرة اخرى ، وقد كبر ، وصار ابا لصبية في مثل سنه ، وان اختلف الحال .

ومما يقرب الكتاب من الشكل الروائي ، عدم تصريح الكاتب باسمه، فهو لا يروي ذكرياته بضمير المتكلم ، ويطلق على نفسه لفظ « الصبي » كما يطلق على والده لفظ « الشيخ » ولهذه الطريقة عدة ثمرات ، فرواية الحوادث بضمير المتكلم تضطر الراوي الى تصوير الحوادث من وجهة نظره وحده ، حيث يكون حاضرا او صاحب راي ، وتحرمه من عرض المواقف التي يكون غائبا عنها ، كما تحرمه من « تحليلها » والامتداد الى اعماق الشخصيات الاخرى ، بل انه سيكون عاجزا عن استكناه حقيقة ما يعتمل في نفسه . من هنا كانت لفظة « الصبي » اكثر مناسبة . وتكتسب تسمية والده « بالشيخ » قيمة اخرى اذ « تكشف عن رغبته في الفصل بين والده وبين بعض المواقف التي قد تسيء الى ابيه في كتابه ، او تعبيرا عن الحواجز التي تفصل الابناء عن ابائهم في بيئتنا الريفية » . فضلا عنضرورة هذا الاستعمال بالطبيعة في مقابل « الصبي » . ومن الواضح ان هذه التسميات احدى « الحيل » التي يلجأ اليها كتاب القصص حين يكتبون قصة وثيقة الصلة بحياتهم ، ويحبون ان يضللوا القارىء عن هذه الحقيقة الواضحة لخلق الوهم الفني الكامل ، بانه انما يقرأ قصة متخيلة ، لا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة من حياة حقيقية عاشها الكاتب نفسه . ولعل هذا يذكرنا بابراهيم عبد القادر المازني في صدر روايته « ابراهيم الكاتب » وهو يقارن بين المؤلف (نفسه) وبين (بطل) الرواية ، ويحاول جاهدا ان ينفي علاقته به .

ومن الخطأ ان نظن ان هذه العناصر الروائية في « الايام » قد اضعفت صلته بفن الترجمة الذاتية ، فالحقيقة ان هذه العناصر ذاتها هي التي جعلته الصورة الكاملة للترجمة الذاتية الناجحة . فنجاح السيرة يقاس بمدى صدقها اولا ، ثم بقيمة الفترة التي تمثلها من حياة صاحب السيرة ثانيا ، ثم بطريقة العرض ثالثا واخيرا . ولقد كان طه حسين صادقا الى درجة كبيرة ، الى درجة اساءت اليه في نظر البعض ، كما اختار فترة من حياته — فترة الطفولة وبداية الصبا — من الطبيعي ان نتعاطف معها ، فاذا كانت عن صبي كفيف البصر فقد انضم العطف الى التعاطف ، الا انه لم يحب — بدافع كبريائه واعتزازه بنصره على حوائل الطبيعة ومعوقات البيئة — لم يحب ان يختم كتابه بصفحة من ايام طفولته البائسة ، او صباه الحائر ، وانما تناسى التسلسل الزمني ليصل الى لحظة الاشراق في حياته ، لحظة حقق فيها — من وجهة نظره — نصرا يراه حاسما ، بما حصل من مرتبة عالية يغبطه عليها محبوه ، ويحسده لها شانئوه . « فان سألتني كيف انتهى الى حيث هو الان .. وكيف استطاع ان يثير في نفوس كثير من الناس ما يثير من حسد وحقد وضغينة ، وان يثير في نفوس ناس آخرين ما يثير من رضا عنه واكرام له وتشجيع — ان سألت كيف انتقل من تلك الحال الى هذه الحال ، فلست استطيع ان اجيبك ! انما هناك شخص اخر هو الذي يستطيع هذا الجواب ، فسليه ينبئك » . اما طريقة العرض — وهي التي ضمنت « للايام » هذا التفوق في مجال الترجمة الذاتية ، فانها مستمدة من تقاليد الفن الروائي . فمن السطر الاول تجد نفسك امام باب مفتوح يدعوك للدخول ، ويستثير خيالك : « لا يذكر لهذا اليوم اسما ، ولا يستطيع ان يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة ... » وبعد محاولة تحديد الزمان يبدا فيحدد المكان « ... واذا كان قد بقي له من هذا الوقت ذكرى واضحة بينة لا سبيل الى الشك فيها فانما هي ذكرى هذا السياج ... » ويتجلى فنه واقتداره في تحديد الزمان والمكان ، في انه الجم خياله فلم يجمح به ، فلم يحدد الزمان والمكان تحديدا قاطعا وله القدرة على ذلك ، ولكنه يستعمل الابهام ، والغموض ليلائم بين سنه ومعرفته .. ومعرفته الناقصة بالذات .

وتتابع الشخصيات واحدة تلو الاخرى ، مما سنتعرض له فيما بعد .

● شخصيات « الايام »

ولعل معرفتنا بالظروف التي الف فيها طه حسين كتابه الرائع ، تستطيع ان تنير طريقنا الى فهم بعض الظواهر الواضحة فيه . ففي سنة ١٩٢٦ طلع طه حسين على جمهور الدارسين بكتابه « في الشعر الجاهلي » الذي استعمل فيه منهج ديكارت في الشك ، ودعا الى الشك، بل الرفض لهذا الشعر المنسوب الى الجاهلية « وهو ليس من الجاهلية في شيء » !! وقد صدم المشاعر العامة ، وكانت ثورة وسخط ، حتى نوقش الكتاب في البرلمان ، واستغلته الاحزاب سياسيا للتاليب على الحزب الذي كان ينتمي اليه الكاتب ، وضاق طه حسين ذرعا بما يحيط به من امور لا يرتضيها المفكر الحر ، الضنين بفكره وحريته ، فغادر مصر الى فرنسا ، وهناك املى هذا الكتاب ، يصور فيه فترة التخلف الفكري الذي كان يعانيه ريفنا ، ومجتمعنا بوجه عام ، ويضع ايدينا على مصدر العلة في حياتنا . انه الجمود ، وعبادة القديم ، ومحاربة الجديد ، انه الفقر الروحي والضلال النفسي . وكأن المؤلف بهذا الكتاب يريد ان يقول لقرائه : ما اشبه الليلة بالبارحة .. من قبل فقدت نور عيني لجهلكم ، وامتلأ خيالي وعقلي بسخافات فكركم» وهأنتم تعيدون الكرة من جديد .. ولكن هيهات !! من هنا كان طه حسين قاسيا على شخصياته ، قاسيا على البيئة بوجه عام . وقد امتدت قسوته حتى الى اولئك الذين نحبهم بالطبيعة والفطرة « كان يحس من امه رحمة ورافة ، وكان يجد من ابيه لينا ورفقا ، وكان يشعر من اخوته بشيء من الاحتياط في تحدثهم اليه ومعاملتهم له . ولكنه كان يجد الى جانب هذه الرحمة والرافة من جانب امه شيئا من الاهمال احيانا ، ومن الغلظة احيانا اخرى . وكان يجد الى جانب هذا اللين والرفق من ابيه شيئا من الاهمال ايضا ، والازورار من وقت الى وقت . وكان احتياط اخوته واخواته يؤذيه ، لانه كان يجد فيه شيئا من الاشفاق مشوبا بشيء من الازدراء » وهذا التعميم قد يكون من وحي مشاعره المهيضة بسبب آفته ، لكنه لا يلبث ان ينسب الى امه وابيه الكذب والعبث والخداع (٣٨) فضلا عن انهما كانا « يكتفيان من تمجيده وتكبيره بهذا اللفظ الذي اضافاه الى اسمه كبرا منهما وعجبا لا تلطفا به ولا تحببا اليه » وبالاضافة الى ابويه فقد « كره عمه كرها شديدا » لانه كان يلح عليه في تكبير اللقمة ، اما جده ، فقد كان « ثقيل الظل بغيضا اليه ، وكان يقضي في البيت فصل الشتاء من كل سنة ، وكان قد صلح ونسك حين اضطرته الحياة الى الصلاح والنسك » وليس « سيدنا » باحسن حال من اهله الاقربين ، فهو دعي كذاب ، يعد نفسه من المبصرين وهو لا يكاد يرى،



ويعد نفسه من ذوي الاصوات الحسنة وهو يذكر بالحمار ، ويحلف بالطلاق حانثا ، ويقسم بالله وهو كاذب ، وعريفه على مثل ذلك ، والعلاقة بينهما علاقة قائمة على تبادل الكراهية وانتظار الفرصة ، فهو اجتماع المضطرين .. ويمتد سوء ظنه الى كل شيء حتى الى نفسه ، فيذكر انه قبل الرشوة ، وان كانت غناء وتعديدا ، بل يذكر صراحة انه لم يتورع عن قبول « الفلوس » الا لانه لن يستطيع الانتفاع بها (٥٤) فاذا عدد الفقهاء والصوفية ورجال العلم، صور في كل منهم نقيصة تطغى على حسناته ان كان له حسنات . حتى المفتش ، الذي اعجب بعلمه وصوته، ما لبث ان غمزه في جانب آخر !!

هذا الغشاء المتشائم الذي يغلف شخصيات الكتاب ناشىء من طبيعة الفترة التي الفه فيها . واذا جاز لنا ان نضع هذا الكتاب ضمن اطار مذهبي عام فاننا لن نتردد في اضافته الى اللون الرومانسي، اذ هو الغالب عليه بالرغم من هذه المشاهد الواقعية ، وهذه الشخصيات المنتمية الى الطبقة الكادحة ، فدافع التأليف هو التعزي عن الحاضر بالهروب الى الماضي ، وفي الهروب تمرد واحتجاج .. وتلك من ملامح الرومانسية . يضاف الى هذه السمة اهتمامه بذاته وجعلها محور العمل الفني برغم تعدد الشخصيات ، وتصويره لهذه الذات حال تمردها ومقاومتها لمظالم البيئة ، ثم يأتي اخيرا هذا الميل الى الحزن ، اذ كان يستجيب لتعديد امه وبكائياتها ، ولا يجد في نفسه نشاطا للتجاوب مع اغنيات اخواته ، وقد اكد هذا الحزن في نفسه فجيعته في اخته الصغيرة ، اول احزانه ، ثم فجيعته العظمى في اخيه الكبير ، وكان شديد الحب له .

وقد توقفت قسوة الكاتب على والديه عند حد الطفولة ، وقد رثا لهما ولعمه ، حين داهمتهم كوارث موت الاحباء ، وبلغ من عطفه على والديه انه كان يلفق لهما الاحاديث عن طعامه الفاخر ومتعه في القاهرة على حين يعاني من عذاب الحرمان من كوب اللبن الذي يستأثر به اخوه من دونه.

● « ايام » الريف

و« صاحبنا » او « الصبي » يمثل الشخصية الرئيسية في الكتاب، لكنها غير مستبدة بالاهتمام . فالشخصيات الاخرى قد نالت حقها من التصوير والمشاركة حسب اهميتها وعلاقتها بصاحبنا . وهو حسيا : زري الهيئة تقتحمه العين اقتحاما ، وهو نفسيا : كذاب الف الكذب واستمراه ، فكذب على العريف وادعى انه يتلو القرآن على نفسه ، وكذب على سيدنا وقد اقسم على ذقنه !! وكذب على قريبه الصبي حين دعا « اللطيف » ولم يظهر العفريت فتحول الساحر الى نصاب، وقد قبل الرشوة ، وحاول ان يقتل نفسه !! الشخصية هنا مكتملة الجوانب ، واضحة متألقة ، ونقائصها لا تنال من محبتنا لها ، واعجابنا بها ، مثلها في ذلك مثل « سيدنا » الذي قد ندهش لجراته على الحق ، ودفاعه عن الباطل ، ولكننا ابدا لا نشعر نحوه بالازدراء ، وانما بالرثاء .. فهو ضحية فقره ، وجهله ، وضيق العالم من حوله !! وشخصية سيدنا من اروع ما صور طه حسين في قصصه . وقد الحت عليه في « المعذبون في الارض » و« شجرة البؤس » وملامحها واحدة تقريبا . وكان اذا اخلت به احدى نعليه دعا احد صبيان الكتاب ، واخذ النعل بيده وقال له : تذهب الى « الحزين » وهو هنا قريب ، فتقول له : يقول لك سيدنا ان هذه النعل في حاجة الى لوزه من الناحية اليمنى . انظر ! اترى ! هنا حيث اضع اصبعي . فيقول لك الحزين : نعم ساضع هذه اللوزة . فتقول له : يقول لك سيدنا يجب ان تتخذ الجلد متينا غليظا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جديدا ، وان تحسن الرقع بحيث لا يظهر ، او بحيث لا يكاد يظهر .فيقول لك : نعم سافعل هذا . فتقول له : ويقول لك سيدنا : انه عميلك منذ زمن طويل ، فاستوص بالاجر خيرا . ومهما يقل لك فلا تقبل منه اكثر من قرش » في هذا المشهد الحي يتجلى الفقر المادي والروحي والعقلي ، الذي يمثله سيدنا في القرية ، وهو من حملة كتاب الله !!

وشخصيات الكتاب في مجموعها جاهزة ، غير متطورة او نامية ، كلها تقدم الينا في صورتها النهائية ، وتلعب دورها وتختفي وهي مستمسكة بالخصال ذاتها التي ظهرت بها اول مرة ، لا تشذ عن ذلك الا شخصية الصبي في تبدل عواطفها تجاه الوالدين . ولعل السبب في عدم نمو الشخصيات هو البعد الزماني للقصة اذ تمثل فترة قصيرة نسبيا .

ويلاحظ ان ظهور الشخصيات قد استمر منذ البداية وحتى النهاية . وبعض هذه الشخصيات لم نعرف من ملامحه الا اقل القليل مما لا يغني ، او مما كان يسمح بالاستغناء عنه ، فكوابس وسعيد الاعرابي لم نلتق بهما الا من خلال عبارة سريعة عبر بها عن مخاوفه وهو يكتشف عالمه الضيق . ولم نلتق باخته صريعة الجهل ، وباخيه صريع الكوليرا الا في الصفحات الاخيرة ، وهذا مما تقبله طبيعة « اليوميات » ويرفضه فن القصة رفضا تاما .

ومن الملاحظ ان النصف الاول من الكتاب ، الذي طغت فيه شخصية الصبي اكثر تماسكا وخضوعا لمنطق الاستطراد الفني من النصف الاخير الذي استهلكه في عرضه وتحليله لمجتمع الريف ، وما يغص به من غريب الشخصيات .

● الاسلوب والصياغة ..

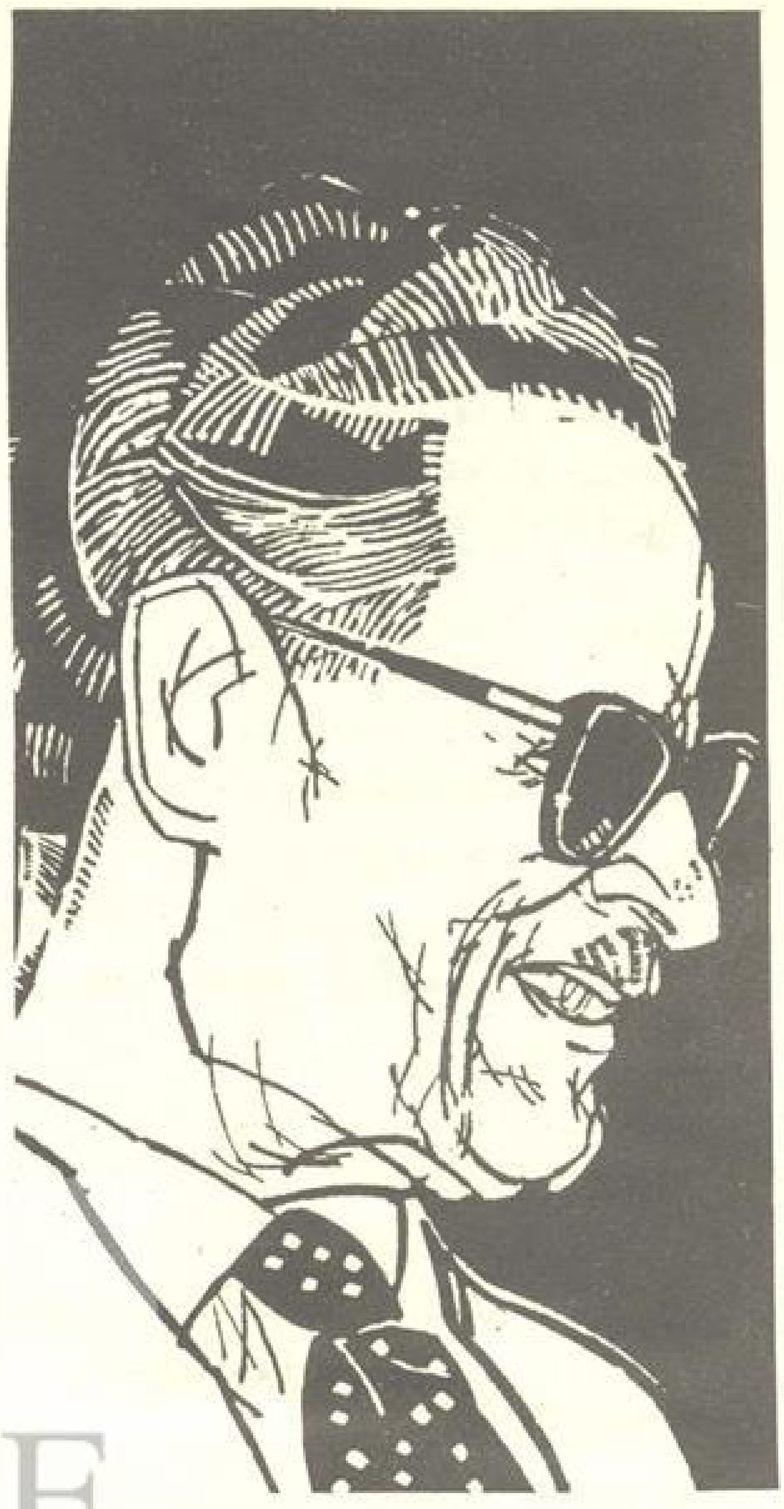
واذا جاء دور الحديث عن الاسلوب ، فاننا حيال طه حسين ، نكون على كثب من جوهر فنه ، اذ ينتقي الكلمات والعبارات ذات الجرس الاخاذ المتناسق ، التي يغلب عليها طابع الهمس ، ويبدو جمال اسلوبه في السمع حين يقرأ ، فيكشف عن هذا التوافق الرائع دون تكلف حلية لفظية من تلك الحلى التي عرفناها في عصور التخلف ، وهذا الجمال الصوتي « ليس كساء » او طلاء وانما هو قوام ادبه ومادة فنه » ولهذا لا نراه يتخلف حين يتحدث مرتجلا ، لانه لا يصطنعه ، ولا يفكر فيه ، وانما يفكر به . ويذكرنا تركيب الجملة عند طه حسين ، وارتباطها بالجملة بعدها ، بالايقاع الموسيقى الذي يبدأ مع الجملة الموسيقية ، ويصمت ليبدأ مع الجملة الجديدة ، كأنما هو فاصل ورابط في آن واحد . وجملة طه حسين « مسجوعة » بهذا المعنى ، مسجوعة على نحو جديد ، مسجوعة من بدايتها لا من نهايتها كما هو المألوف في تعريف السجع . « هو يذكر هذا السياج كأنه رآه امس ، يذكر ان قصب هذا السياج كان اطول من قامة .. ويذكر ان قصب هذا السياج كان مقتربا ، كأنما كان متلاصقا .. ويذكر ان قصب هذا السياج كان يمتد من شماله .. » اما حين خرج اخوه الازهري في يوم المولد متجها الى المسجد « اذا رجال يحملونه فيضعونه على السرج ، واذا قوم يكتنفونه من يمين ومن شمال ، وآخرون يسعون بين يديه ، وآخرون يمشون من خلفه ، واذا البنادق تطلق في الفضاء ، واذا النساء يزغردن من كل ناحية ، واذا الجو يتأرج بعرف البخور ... » ونحن لا نكاد نلتقي عند طه حسين بكلمة كان يحسن استبدالها بغيرها ، فكلماته دائما محملة « بطاقة » من الخيال والتجارب المدخرة تتناسب في قوتها ودرجة الايحاء المطلوبة . « هو يلهو بذلك ويعبث بهم وبكتابهم وبسيدنا وبالعريف ، وكان قد خيل اليه ان الامر قد انبت بينه وبين الكتاب ومن فيه ، فلن يعود اليه ، ولن يرى الفقيه ولا العريف . فأطلق لسانه في الرجلين اطلاقا شنيعا » بتأمل هذه العبارة القصيرة تتكشف لنا عبقرية الصياغة عند طه حسين ، وبالتجربة سنرى ان اي تغيير يلحق بها سينال من جمالها وتماسكها ودقة دلالتها .. لو حذفنا باءات الجر في بداية الجملة. او وضعنا « انقطع » مكان « انبت » او وضعنا « لن يراهما » بدلا من « لن يرى الفقيه ولا العريف » لو فعلنا ذلك فسنكتشف اننا امام اسلوب مختلف .. اسلوب خلو من الدلالة الذاتية على صاحبه .

● مجتمع « الايام »

وقد حمل طه حسين في كتابه حملة شعواء على نظام التعليم القديم، فصب جام غضبه على الكتاب ، وسيد الكتاب وعريف الكتاب ، وحمل على من يسمون انفسهم رجال الدين سواء كانوا من حملة كتاب الله او من الفقهاء اصحاب المذاهب او سالكي طريق التصوف . فكلهم جاهل مغرور يتخذ من جهل البيئة مركبا الى الغنائم والتمتع باطايب الحياة . ولعل هذا رد فعل لموقف شيوخ الازهر منه حين نشر كتابه عن الشعر الجاهلي ، ولذلك لم يسلم رجال الازهر منه ايضا ، وهو وان لم يصرح باسم الشخص ، الا انه هاجم الطريقة « وقد اقسم لي بعد ذلك انه احتقر العلم منذ ذلك اليوم ، سمع الشيخ يقول : « ولو قال لها انت طلال او انت طلاة وقع الطلاق ولا عبرة بتغير اللفظ » .

وقد صور الريف المصري في حالة من الفقر المادي والعقلي ، يتعزى بالخرافة عن مواجهة الحقيقة، ويرضى بالخديعة قانعا ومفضلا لها عن البحث والتفكير . يطعم شيخ الطريقة ما حرمه واولاده ، ويتوسل الى الله بطفل ضعيف طمعا في رحمته بالضعفاء ، ويتحزب ويتضارب من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اجل الزناتي والهلالي سلامـــه . الا انه يصور عامة الناس في هيئـــة الواقعيين ، فها هم لا يحفلون بمـــا زعمه بعض المنجمة عن ظهور نجم سيمس الارض بذنبه ويدمها ، على حين يختلف المتفقهون مـــع اصحاب الطرق بسبب عدم حدوث الواقعة ، فيراها فريق نتيجة حتمية لمخالفتهـــا اشراط الساعة ، ويراها فريق قـــد ازيلت بشفاعة القطب المتولي بـــين الله والناس !!

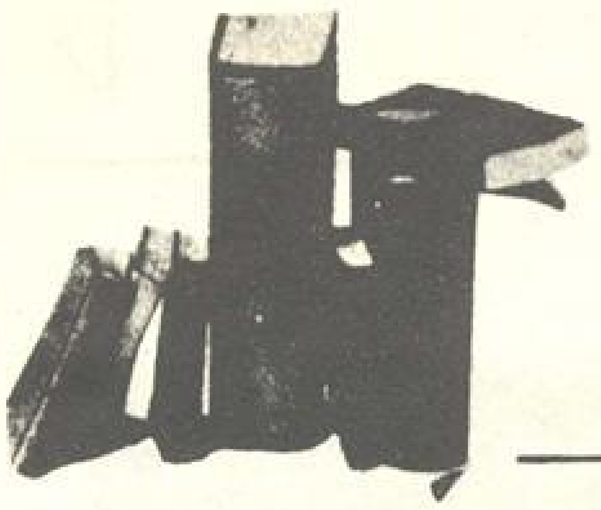
وفي موقف واحد ، يقدم طـــه حسين تفسيرا رمزيا رائعا لتـــاريخ الحضارة المصرية ، على امتداده ، وتغايره وتجانسه في الوقت نفسه مع طول الزمان . فمع شم النسيم تهب رياح الخماسية الترابية ، ويتحصن فيها الناس باوراق عليهـــا حروف مقطعة من القرآن . واوراق اخرى عليها بيت من الشعر يحصى مخلفات النبي !! وكلمات سريانية — فيمـــا يزعمون .. ولم يكن ذلك يمنع الناس من اتقاء العفاريت يوم شم النسيم بشق البصل وتقليعـــه على ابواب الدور !! وشم النسيم عيد الطبيعة عند الفراعنة ، لكن احياءه الحديث تمتزج فيه بقايا العصر القبطي المتمثل في الرموز السريانية ، بالقداســـة الاسلامية ، الا ان ذلك كله لا يمنع الناس من شق البصل وتعليقه على ابواب الدور !! تماما كما كان يفعل الاطفال من ثلاثة الاف سنة او تزيد!!

● هل قال طه حسين كل شيء ؟

ويبقى سؤال اخير : الى اي مدى نستطيع ان نعتمد على «الايام» في استقاء المعلومات والمعرفة بحياة طه حسين في طفولته وصباه ؟ ! لقد اعترف منذ الصفحات الاولى بـــان ذاكرته احتفظت باشيـــاء واضاعت اشياء اخرى !! واعترف في الصفحات الاخيرة امام ابنته بانه لن يستطيع ان يقص عليها كل ما كان حتى لا يكون محلا لقسوتها او سخريتهـــا . ففي الكتاب اذا صفحات ناقصة . هـــذا حق ، ولكن من الحق ايضا ان نعتبر ما ذكره اساسا لمعرفتنا به ، فهو كاتب مقتصد بعيد عن المبالغـــة والادعاء ، وقد ورطه هذا في بعض ما يؤخذ عليه من قسوة ، وما يشيع في جو الكتاب من تشاؤم ، وعذره انه صادق الرواية صادق الانفعال . وقد حرص على ان ينسب حوادث بذاتها لتاريخها بكل دقة ، مثل وفاة اخيه في الوباء ، وسفره الى القاهرة عقب ذلك ، ومن حقنا ان نعتبر هذه النقط صحيحة لم يتدخل فن القص في املائها او تغيير ابعادها . وكان من اقتصاد طه حسين انه لم يحاول ان يستدر دموعنا امام عجزه والامه الطفلية ، كما لم يحاول ان يستجلب اعجابنـــا بذكائه الخارق وحافظته النـــادرة ، ولقد اضحكنا اكثر من مرة ، واوقعنا معه في الحرج اكثر من مرة ايضا ، ورثينا له مرات عديدة ، وسخرنا منه مثل ذلك .. وكاتب هذا شأنه مـــع نفسه جدير باحترامنا وثقتنا ، فاذا اضيف ذلك الى بناء فني متماسك ، واسلوب نقي جميل الجرس ، وتوجيه خفي ضمني نزيه الغاية ، استحق الى احترامنا وثقتنا ، اعجابنا بقدرته الفنية ، ودعوته الاصلاحية .

محمد حسن عبدالله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

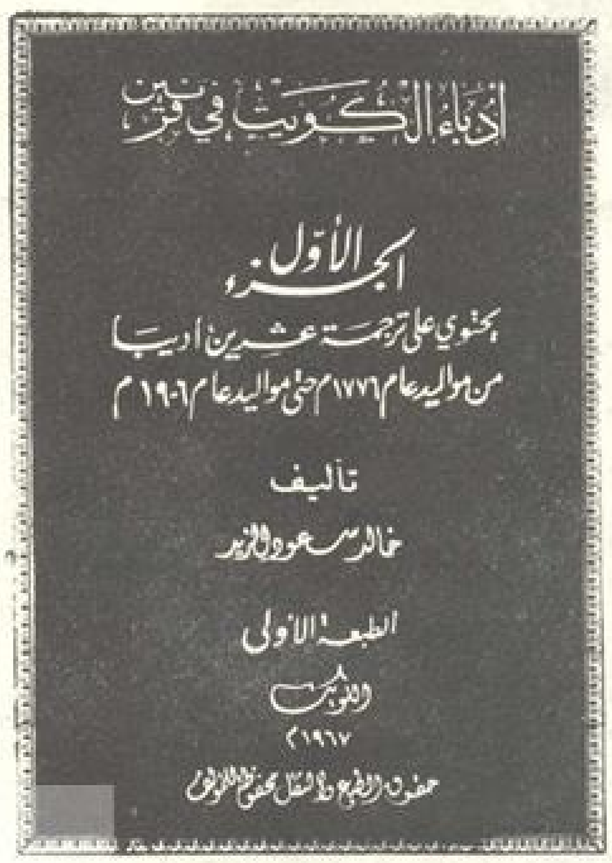


مَكتبة الرابطة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس هناك اشد ظلما من بلدناهذه على الفكر ونتاجه ، فهي تخطو بخطوات حديدية في طريقها لاقطـــةمنصيدة السعادة لايامها القادمة عن طريق تلك الخطوط المادية الملموسةولكنها في الوقت ذاته تسحق الفكر وتواريـــــه تحت التراب ، وتطمرهبالحصى بجدارة وعزيمة لا تحســـد عليها !! والا فما قولنا في بلـــد تمر الشهور الطـــوال دون ان تتمخض المطابع عن صفحة من كتاب او كلمةمن صفحة ، وعنـــد المكتبات الخبر اليقين .. ستار حزين يتوارى تحتهالعقل خجلا لولا نفاذ اشعة ضد نور من قلوب ابتلت بحب الفكر فمجدته ،ولهثت وراءه متعبدة في محرابـــه ، تحن اليه بين لحظة واخرى فتراهاتسعد بشقائها وتفرح من خسارتها ، وتنحني من ثقـــــل المسؤولية لتعلوالكلمة المشحونة بطاقة المعرفة ..



ومن هؤلاء — وهم دون اصابع اليد — باحث تقدم حين تقاعس الكل واقدم حين تاخروا ، وبذل حين بخلوا وحسبك من كاتب منقذ ، ولا استعمل كلمة الانقاذ عبثا ، ولا اراها كلمة تقال وكفى بل انها حالة كاملة متكاملة **فخالد سعود الزيد** برزت فيه صورة المنقذ مرتين ، الاولى عندما احس بان مثل العامة الكويتي اخذ يهوى في مغيب لا امل في الشروق بعده ، تشمرت العزيمة في ذاته وثبت الجد في خطواته ، فاذا هو ينقذ من على الانحدار شارف ، ودفع به فاذا هو بين الناس منتشرا ، وحسبك ان ترسل طرفك او ترهف سمعك فيتضح لك هذا الاثر الواضح ..

اقدام في مكانه ، وتعب لغاية ، وسعي في طريق هجره الساعون وعلاوة على هذا سوء تقدير واجحاف في الحقوق اشار اليه المؤلف متألما في كتابه الذي بين يدينا الان والذي سينال حقه من عدم التقدير وسيظفر بالتحقير والتقليل من الشأن لانه لم يحلل او يفسر او يوضح .. او .. او .. هجوم يتسع ويتشعب وهذه شيمة المتربعين على هيكل الموت والذين تزحف في عقولهم معاني الخذلان ..

كلمة الم من النفس منبعها ، واحساس بواقع كئيب نحتال على الصدف لنحدث عنه كنوع من استجلاب المرارة الى حين ننساها بالرغم من ان الحديث قصد منه استعراض كتاب خالد « **ادباء الكويت في قرنين** » وقد صدر الجزء الاول منه ، وبصدور هذا الكتاب تتجلى فيه صورة المنقذ الذي يهب ويعمل ويسجل كل شيء قبل ان ينساه الناس — هذا مع العلم انه في حكم المنسي — ويمسحونه من تاريخهم وقد ادرك المؤلف هذا وبينه حين قال « **لست في هذا الكتاب دارسا ، ولا باحثا ، ولا واضعا حديثا لم يعرفه الناس من قبلي في الكويت ، غير انهم تقاعسوا فتقدمت وتاخروا فاقدمت ، وجمعت ما استطعت جمعه من نتاج ادبائنا بعد ان ظل مطمورا تحت انقاض الكتب والمجلات عبر سنين طويلة وطويلة جدا** » ..

اعتراف صريح ليس فيه للتواضع الكاذب مجال . وشرح لحالة مؤلمة احسها الكاتب وابرزها بحديثه عن الاهمال الطويل بقوله « **عبر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنين طويلة وطويلة جـــدا » .. نحن اذا امام كتـــاب ابرز المؤلف ماهيته في المقدمة فلم يترك لعـــاتب عتاب ولا للوم مجال ، وبالرغم من ان لي راي في قوله هذا ، الا اننا نكبر الصدق ، ونقف معه في اعترافه بانه وضع هذا الكتاب لحاجة ماسة وتحت ظروف معينة عرفها الكاتب وعرفناها الا انه لم يكن دقيقا او انه نسي في غمرة البحث والتنقيب نفسه فظلمها حين نفى عنها البحث ، فالكتاب حقيقة فيه روح الجامع الذي لا يهمه الا جمع المادة ، خائفا مشفقا عليها ، وفيـــه ايضا دقة الباحث المنقب الذي تنفذ عينه عبر الكلمات يجس طاقتهـــا ، ويكشف كنههـــا ويزن مدلولاتها ، فالكتاب تحت هذه الحالة نستطيع ان نقسمه قسمين ونستخلص منه جانبين حيث ننفذ منه الى روح مؤلف الكتاب فيبرز لنا فيه الباحث الدارس كمـــا نلمس جهد الجامع المبوب . وقفـــة عابرة عاجلة تعطينا صورة متكاملة واضحة المعالم ..

اولا ــ شخصية الدارس المحلل :

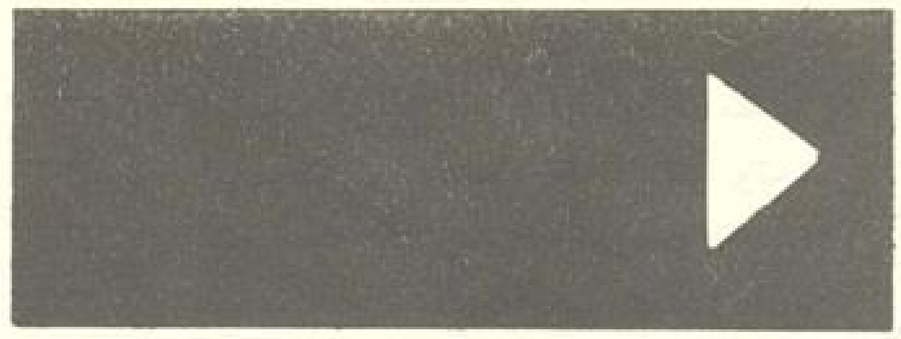
تطل هذه الشخصية برأسهـــا ــ رغم محاولة المؤلف خنقها ــ في مواضع كثيرة ، وتحت الاحصاء الدقيق تطل في خمسة مواضع وقـــد تكون ستة مواضع من الكتاب ، اولاهـــا تتبعه الطيب لتطور الحركة الفكرية في الكويت حيث قسمها الى مراحـــل اربع حدد معالم هذه المراحل بدقـــة ووعي وتفهم لطبيعة المرحلة ذاتهـــا التي قد تستمر مدة طويلة او تقصر حسب امكانيـــة المرحلة ذاتهـــا ومعطياتها ، فالمرحلة لهـــا من خصائصها التي يحددهـــا المؤلف ويسلط عليها الاضواء الكاشفة ، ولا ينتقل من هذه المرحلة حتى يكون قد استخلص الاثر العام للمرحلة السابقة هذا الاثر وهذه القيمة التي سيزحف اثرها على المرحلة الثانية التي وقف امامها اكثر مما وقف عند غيرها محددا الافراد الذين كان لهم الاثر فيها والقيم التي ساوتها ، والصراع الذي كـــان يكتنفها ، ولا يقف لمجرد الوقوف بل لاسباب وضحت من تحليله لهـــذه الفترة التـــي استمرت طوال الثلث الاول من هذا القرن . وقد اهتم فيها المؤلف هذا الاهتمام لانها ذات قيمة خاصة ، فاثرها جليل ، وذكرها منسي عكس المرحلة الاولى التي قل اثرها، وتختلف عن المرحلتين الاخيرتين التي لم تنس بعد ، ويمكن تداركها والكتابة عنها وتحليلها والحديث فيها قد يتخذ وجهات نظر كثيرة ... هذه المقدمة الشاملة فيها دقة الباحث وتحليـــل الدارس اكثر من ذلك الجامع للمادة التاريخية ، وليس هذا هو الموضع الوحيد الذي برزت فيه هذه الخاصية ولكننا نلمسها في ترجماتـــه لبعض الادباء ونستطيع ان نذكر بعض وقوفه الطيب ــ واصفـــه بالطيب حتى لا اعطي الاشياء اكثر مما هي فهذا ما لا نرضاه ولا المؤلف يبتغيـــه ــ اقول وقوفه الطيب امام عبد الجليـــل الطباطبائي ففيه جهد ودراسة ودقة محاطة في تتبعه للحوادث التاريخية حين حاول ان يحصر السنة التي غادر فيها عبد الجليل البصرة ففي وقوفـــه تقصي ولمحات ذكـــاء وتفهم جديرة بالتنويه ، ولسنا بحاجة لبيان اهمية الدقة التاريخية في النقد والدراسة . اما دراسته لنفسيـــة الشـــاعر وشاعريته فهي قيمة وبداية تمهيـــد الطريق وتحديد المعالم فقد تتبع العصر دائرة على الشاعر كما تجول في نفس الشاعر وامالها واثر هذه الامال في قصائده ، بالرغم من بخل المؤلف علينا حين قال **« ولعل القارىء لشعره يجد من الاشياء الكثيرة غير ما ذكرنا في محاولته للتشبه بالمتنبي روحـــا وشعرا . بما لا يسعنا ايراده هنا في هذه الكلمة . »** .. هذه الوقفات الطيبة لا نستطيع ان ننفي عنها ملامح البحثخاصة وان الارض التي خاضها المؤلف ارض بكر مليئـــة باشواك الغموض وسحب الظلام .. وتختفي شخصية الدارس لتظهر مرة ثانيـــة عندما اخذ يتحدث عن عبـــد العزيز الرشيد ، فهو يفرد صفحات يتحدث فيها عن هذه الشخصية من كـــل جوانبها محاولا ان يربط الاسبـــاب بالمسببات ، ويصف الشخصيـــة من خلال الاعمال فيقول **« لقد كان عبـــد العزيز الرشيد واسع الراي بعيـــد النظر ، بليغ الخطاب ، موفق الحجة ما عزم الناس على امر خير الا وكان له فضل الاسبقية عليهم فيه ..** .

ويعزز المؤلف هذه الصفات بالاعمال الظاهرة **« فهو كان اول من دعا الى تاسيس النادي الادبي عام ١٩٢٣** .

ويستمر في الوصف والتدليل **« لقـــد كانمحبا للخير معينا للفقراء والمعوزين** مشددا **على التعليم وانشاء المدارس** فمن **ارائه النيرة الجريئة ما جاء في** كتابه **(تاريخ الكويت) عند حديثـــه** عن **مساجد الكويت** .....

على هذا النهج الدقيق يسير ، لا يطلق القول في الريح عابرا ، بـــل يحمله بكل شاهد مدلل موضح ، فقد تتبع اراء هذا الرجل المصلح من خلال الاعمال ــ كما مثلنا ــ مستنتجا من اقواله المنصوص عليها المرتبطـــة بالاعمال فاوفى وافاض ما وسعـــه المجال ، فشخصية الدارس المقلب للنصوص لم تختف رغم انه نص على ذلك كما ذكرنا . ولكن وقوفنا هـــذا كان امام الدراسات التي لم تنشر من قبل ، اما ما نشر فلا يستطيع احد ان ينكر انها تخضع تحت بـــاب الدراسات الجادة ، فمقاله عن خالد الفرج قد نشر في مجلة العربي وهي الرصينة الوقور التي تنشر مـــن المقالات القيم منها ، ومن الدراسات ما تميزت بالجدة والجهد ولا شك ان مقاله هذا لا يقل عنها باي حال من الاحوال . وقد تجاوزت كذلك عـــن دراسته القيمة **لراشد سيف** وقـــد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نشرت مرتين ، الاولى في مجلة اضواء المدينة والثانية في مجلة (البيان) فلولا قيمتها الادبية كدراسة لها وزنها لما حظيت بهذه المكانة ، علاوة على ان دراسته عن راشد السيف يمكن أن نتعرف منها على شخصية الدارس المحلل شاء كاتب الكتاب ام ابى ! ..

ثانيا ــ شخصية الجامع المبوب :

من حقي التجاوز عن بيان اهمية هذا النوع من البحث ، ومن حقي ايضا ان انوه ان الاختيار هو الرجل، فمن هذه النقطة يمكن ان نقدر هذا الرجل حق قدره ، فقد تقصى فاحسن الجمع ، واختار فوفق في الاختيار ، ولم يخضع في اختياره لذاته بقدر احساسه بالقيمة التي يمكن ان يستفاد منها ، ولو كان الاختيار كما تهواه القلوب لضاعت الحقيقة ولكن الاختيار الحق ما جمع بين ما تهواه القلوب والاهم من هذا ما ادركت العقول فائدته ، وقد قدر المؤلف هذا حق القدر حين قال في حديثه عن النماذج التي اختارها من قصائد صقر الشبيب قال « **لقد حاولت ان تكون مجموعة اشعاره التي اخترتها له كثيرة متنوعة ليكون الطريق امام الباحثين والدارسين سهلا ميسورا من بعدي ..** » ولسنا نقنع بعبارته هذه ، بل سنتجاوز اختياره الذي اختاره من نتاج صقر الشبيب وسنجول في الكتاب لنرى مدى التزامه بهذا النهج . وها هو اختياره يتجلى فيما اختاره من نتاج **خالد الفرج** وقد التزم كل الالتزام بما ذكر ، بل ان حاسته الفنية تقدم الجديد الاهم على المالوف المهم ، فمن الجديد في الشعر الكويتي والعربي القصة الشعرية فيقدمها المؤلف على غيرها في الاختيار لانه يرى ان هذه بداية جديرة بالتقديم فيبدا اختياره بالقصة الشعرية التي كانت تحت عنوان «قصةمبتورة .. ». ويتدرج في الاختيار حيث يقدم قصيدة « الجموع المتصارعة لاجل الوصول الى ماء الشرب الذي تنقله السفن من شط العرب » على غيرها ، وفي هذا الموضوع لمسة انسانية بجانب قيمته التاريخية لنا . وعلى هذا المنوال يسير المؤلف ضمن الاطار الذي ارتضاه واقره ، متناسقا مع نفسه كل التناسق مجد مخلص من اجل فكرته . وليس هذا كل الموجود بل امور كثيرة يمكن ان تلحظها العين المخلصة المقدرة للجهد حق قدره ، ومن هذه الامور تلك الدقة المتناهية التي تشمل هذا الجهد ، فشخصية الجامع المبوب لا تطمئن الى كل ما تجد ، بل اننا نراه يصلح الخطأ بعد ان يثبت الموجود ويشرح الغامض ويبين الدلالة .. كل هذا نلمسه واضحا من خلال التعليقات التي تشعبت مواضيعها وامتدت عبر الزمان والمكان وكلها تشير الى ان صاحبها سعى جاهدا ، مخلصا ، مقدرا للمسؤولية قدرها . .

واخيرا :

اخيرا وقد هممت بانتزاع القلم واجباره على الخنوع رغم ما يعتمر في النفس ، ورغم ان هناك الكثير مما يستحق الحديث الا ان الخير كل الخير في الاختصار دون الاخلال وحسبنا ان وقفنا امام الكتاب وقفة المستعرض الذي ــ وان كان لا يتعمق ولا يتقصى ــ يلقى بنظرة تكون فكرة عامة . الا ان هناك بعض الملاحظات التي احب ان اهمس بها دون الحاح والتي ارى ان المؤلف تجاوزها من حيث لا يجب التجاوز خاصة عند وقوفه امام عبد العزيز الرشيد ، فقد لمسنا اعجابه واحترامه لهذا الرجل ، حيث ذكره مرتين ، الاولى نظر اليه كمرحلة كاملة حين تحدث عن المراحل الفكرية ، والمرة الثانية عندما كان الحديث عنه . هذا الاعجاب وهذا الوقوف كان واجبا ان يتمه المؤلف فلا هو اختصر الحديث عنه كما فعل مع البعض ، ولم يعطه حقه الكامل كفعله مع البعض الاخر ، ولعل اهم ما اعطى عبد العزيز الرشيد هو كتابه (تاريخ الكويت) اما كان يستحق هذا الكتاب وقفة قصيرة على الاقل من المؤلف ؟ ولا يضير لو كانت هذه الوقفة ضمن ترجمته لهذا العالم المسهبة .

اما الملاحظة الثانية فتدور حول الشاعر محمود شوقي الايوبي ، فهذا الشاعر نال من الدراسات الكثيرة وقد توفي حديثا فكان حريا بالمؤلف الا يخصه بهذه السطور القليلة المقتضبة لان بقية الشعراء اكثرهم مجهول فتكفينا من الكتاب المعرفة بهم ؛ اما الايوبي فنحن نعرفه حق المعرفة مما يدعونا لان نسأل المؤلف المزيد عن هذا الشاعر .

ملاحظتان عابرتان لا تنسينا الواجب الملقي علينا من ان نشد على يد المؤلف قائلين : **لقد بلغت فشكرا .** ولنا لقاء اخر حين تصدر الاجزاء الباقية ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الليل



شعر : خليفة الوقيان

أيهـــا الليـــل ويا كهف الشجون
يا سراب التيـــه في بيد الظنون
يا متاهـــات الرؤى يا وجه غيب
يا جبين الشـــك والسر الدفين
كم تسلقت الى مرآك وهمـــا
ولكم أغرقت في الـــدرب سفيني
ان تكن ابقيتني للشـــك نهبا
فلكم يـا ليـــل اشعلت حنيني
سرك الغـارق في اعمـــاق بحر
عبر اغـــوار الدنى خلف القرون
لم يزل غايـــة متبول فـــؤاد
تـــاهت خلف قناديـــل اليقـين
وجهك الغيبي في درب ضيـــاع
كان لي انشودة في كل حـــين
اين القـــاك وهـــل لي من عزاء
عن هوى كـــل دفـــين وخدين
خدع العشـــاق اذ ظنوك ظـــلا
من جنى الفردوس وهمي الغصون
والندامى كم اداروا مـــن نجوم
راقصات فيـــك اقـداح المجون
وغريب تائـــه منـــك تردى
غارقـــا في لجـــة الدمع السخين
ومحب قـــام في البعـــد يناجي
بدره جرعتـــه كـأس الشجون
يا رداء اسودا قد لف وجهـــا
عسجدي الافق فضي الجبـــين
يا ضياعـــا سرمديـــا في سمائي
سرك الغـائب من بعض شؤوني
في متاهاتـــك قـــد انفقت عمرا
من الى دربك يا ليـــل معيني
لست ارضى بمقـام انا فيـــه
عن هـــوى سرك معصوب العيون

حكاية المنفى

بلا بيت



شعر : محمد القيسى

امسيات شتوية
امسياتي وحكايا دموية
وضباب ودخان يتثنى ،
في رواق الحزن في عمق جراحاتي الندية
ولياليي مواويل من الذكرى وآمال فتية
آه غول الصمت يغتال مسافاتي القصية
لم تكن يوما عطاياه سخية
ها هنا في الخيمة السوداء احلامي الشقية
تتنزى حسرة ، تنثال شلالا من الحرمان ،
فياضا يروي مقلتي
غربة تنبع في ذاتي ، وترسو في قراراتي ،
نداءات شجية
غربة تنهش وجداني ولا تحنو علي
وهناك ..
كنت في يافا صغير
يوم ان كانت بلادي
في جبين الشمس تغفو وتنام
يوم ان كانت عيون الله لا تغفل عنا
وهنا اصبحت في المنفى كبير
ذات يوم حدثتني فيه امي
كان يوما لم نذق فيه طعام
وبقينا جائعين
فروابينا تركناها هناك
وبركن الخيمة السوداء مطروح هنا كيس صغير
لم يزل منذ سنين
خاليا دون طحين
وجلسنا نتلهى بالحديث
قيل لي اني يتيم
وأبي كانت له دار صغيرة
وثمار وكروم
كان فلاحا يحب الارض يسقيها دماءه
وبعينيه شعاع الله عنوان البراءة
وفؤاد الارض لم يبخل عليه ،
راضيا كان بما تجزيه تلك الارض من حب وزاد

★ ★ ★

وأتى عام شديد القحط غطاه الجليد
خنق الاحلام في سرداب تشريد وجوع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غمر الامال باليأس ففاضت بالدموع
واعترى القوم وجوم وشرود
قيل أقدام غريبة
من اقاصي الارض جاءت تبتغي الارض الحبيبة
تحمل الويل لنا والذل والنار والوان الدمار
وترش العار في الاحداق ما اقساه من عار ،
ومن جرح عميق في القرار .

★ ★ ★

وانتفضنا وبأيدينا السلاح
وهببنا كالرياح
انما الواقع مر قد اباح
وطني للغير ترديه الذئاب
ورمى الليل الصباح
وغدونا لاجئين
واكتسينا برداء البؤس والصمت الحزين
ومضت سبع وعشرة ،
وبقينا صامتين
لم نزل منذ سنين
نكتب الشعر ونلقيها خطابات شجية
وشعارات ابية
دون ان نجني من الحقل حصادا
دون ان تشرق يوما شمسنا تلك القديمة
دون ان نرقى الى النصر نجادا .

★ ★ ★

ها انا ما زلت حيا
واعيش العمر حرمانا ونفيا
عن بلادي ،
عن بلاد الشمس والنور ، بلاد البرتقال
وينابيع البطولة
لم اذق حتى مسرات الطفولة
انا ما ذنبي اجوس الارض جوالا شقيا ؟!
انا ما ذنبي بلا بيت تغني فيه افراحي وتحيا ؟
ـ انا لاجيء ـ يحكون هذا ،
يمطرون القلب اوجاعا وتمزيقا وحسره
وتشب النفس في جنبي بركانا وثوره
وفؤادي يقبض الشوق عنانه
للحمى في « كفر عانه » (١)

★ ★ ★

واغني رغم الامي اغني
رغم بؤسي ، رغم تشريدي وحزني
للغد الباسم ، للصبح أغني
واذيب النفس ارويه عصاراتي وفني
آه ما اروع ان احيا لماساتي وفني !!

★ ★ ★

صوت امي جاءني بالامس مبحوحا كسيرا
واهيا تغرب في ايقاعه شمس الحياه
ـ قدر بني نعيش في هذي القفار
قدر نموت بلا ديار
قدر تضيع مرافيء الاحلام ، جللها الغبار .
صمتت .. وغنى بلبل الصمت الحزين
نغما حزين .
. . . . . .
. . . . . .
ـ وغدا بني اموت ، يحويني العدم
لا لن ارى وطني الحبيب ولن تحركني قدم
اواه أشعر أنني أهذي فهل حقا نعود ؟ !
اتقلنا يوما مراكب عودة نحو الديار ؟
آه بني قد انتهينا
والنور غادر مقلتينا .

★ ★ ★

نطقت بالموت بالياس المرير
بحنين بائس مر كبير
انبت الحقد باغواري وقلبي .
ـ كيف يا أم انتهينا ؟ !
والمصابيح منيره
تغسل الليل عن الدرب المصابيح المنيره
تغرس الايمان في النفس فنشدو ،
لحن عوده
لربوع في فلسطين مثيرة
عن قريب آه يا اماه نلقى ،
دارنا تلك الصغيرة
فافرحي يا أم لن يغتالك الموت ،
ولن يسلب روحك
وغدا يبرأ جرحك
وتغنين لزحف العائدين
هللي يا ام هيا ابسمي ،
راية العرب ستعلو ،
في سماء المجد بيضاء نقية
واعلمي يا ام انا لم نزل منا بقية
لم تزل فينا دماء عربية .

(١) قرية الشاعر في فلسطين المحتلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللغة العربية بين القديم والحديث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للاستاذ رشاد داغوش

لكل شعب — او أمـــة من الناس — لغة — لغة صحيحة — هي في الاصل وسيلتهم الى التفاهم ، ومن ثم تصبح تعبيرا عما بلغوه من مستوى عقلي وحضاري .

ذلك ان اللغة وعاء للفكر ، بل هي الفكر متجسدا في الحروف .

ونحن — كغيرنا من الشعوب والامم — لنا لغة ، هي لغتنا العقلية — وان كنا نتعلم معهـا العديد من اللغات الاخرى ، وحبذا ما نفعل .

وقد اتيح للغتنا ان تمر بشتى المراحل ، منـذ الدور البدوي حتى الدور الحضاري الاول — كما أصابها الكثير من الامراض ، التي تركت في متنهـا أعراضـا نشكو لليوم من استمرارها . وهي ، ككل كائن حي تتطور ، الى أمـام ، او تنتكس في تطورها الى وراء . وفي جميع الحالات تكتسب خبـرة ، وتنمو ، وتتعمق جذورها . حتى صح أن يقال ان لغتنا هذه هي اعرق اللغات ، وأعمقهـا أصالة ، ان نقل انها كانت لغة آدم ، وستكون لغة اهل الجنة — كمـا يزعمون .

بعد هذا العمر الطويل — من آلاف السنين — خرجت لغتنا تحمل الكثير من المحـاسن والكثير مـن المساوىء — ونحن لا تحجبنا محاسنها عن رؤية مساوئها . ولكننا نرى ان ادامة البحث في هذا الموضوع بالذات يجعلنا أشبه بمن يدور على نفسه . لا يتقدم خطوة ، ولا يتأخر — حتى يصاب بدوار صاعق يقضي عليه .

فمنذ قرن ونيف ... اي منذ مطلع هذه النهضة الاخيرة — بعـد نكسة الانحطاط الطويل — في القرون التي تلت سقوط بغداد في ايـدي المغول — لم يبرح الكتاب والادبـاء والشعراء والصحفيون يبحثـون ، ويتناقشون ، ويجسمون تلـك المساوىء .

وهم أحرى ان ينصرفوا الى ازالة ما يرون — كل ضمن حقله — من تلك المساوىء على أهون سبيل ، فالكاتب الذي يتجنب الكلمات غير المانوسة ، يؤدي للغة وللشعوب الناطقة بها خدمة تذكر .

والاديب الذي يلجا الى الاسلوب السهل المقبول ، يحسن الى اللغة والى ابنائها ، والى الفكر معا .

والشاعر الذي يستنكف عن اللجوء الى الشواذات والجوازات يفيد اللغة والشعر فائدة لا أجمل ولا أروع .

وكذلك الصحفي الذي يبسط الفكرة ، بالكلمات المانوسة القريبة من المالوف ، ويقصر الجمل ، مستعملا علامات الوقف ، المصطلح عليها في اللغات الغربية مثلا ، انما يعمل مع العاملين على تيسير هذه اللغة وتسهيل الكتابة بها والتحدث ايضا .

والمغني الذي يؤثر الكلام الصحيح في أغنيته ، يخدم اللغة خدمة جلى .

ان صعوبات اللغة العربية الكثيرة — صعوبات ترجع في الاصل الى طرق تدريسها العقيمة ، وبالتالي الى جهل اكثر ابنائها . جهل بدأ مع انحطاط الامهات وانعدام وجودهن ، وينتهي مع تعلم المرأة — وصيرورتها في مستوى رسالة الام — العربية — التي تنشىء الاجيال وتبني الاوطان.

أما طرق التدريس — فهي الى اليوم ، ما برحت بعيدة كل البعد عن الطريقة المثلى ، او الطريقة الطبيعية ما دام المعلمون والاساتذة يلجأون الى الكتب القديمة ، ينقلون عنها ، او يلخصونها ... ويضعون الطلاب امام ركام من القواعد وشواذاتها ، وشواذات الشواذات ، في بحر عامر، وجو خانق من الاعراب والتعليل والتحليل ... لا أول له ولا آخر !

أما السبيل الى الخروج من هذه الدوامة ، بل هذه الحلقة المفرغة ، فسبيل من سبقنا الى توحيد اللهجات او اللغات العامية — المنبثقة من اللغة الام ، اللغة العقلية .

ولنقل هنا ان لكل لغة لهجة او لهجات ، او لغة او لغات جانبية، تنشأ كالطحالب أو الطفيليات ، وتتغذى بالجهل والاهمال ولا سيما جهل الامهات .

اذا فعلت الام عندنا ما تفعله الام في انكلترا او فرنسا — مثلا — فعلمت الوليد الكلمات الصحيحة ، بدلا من الكلمات المحرفة أو العامية — كما نقول — نشأ ثم دخل المدرسة وهو يتكلم — برغم قلة زاده — تلك الكلمات الصحيحة بالذات . ثم تكمل المدرسة عمل الام ، ويكمل المجتمع بمؤسساته المختلفة عمل كل من المدرسة والام . فلا يمضي جيل أو جيلان حتى تتحرر الامة من قيد ((العامية)) — وهو أخطر من كل قيد تحررت منه أو هي تسعى لتحرر منه : كقيود الفقر والمرض والجهل — بمعناه العام .

وهنا يحسن بنا ان نزيل التباسا لغويا يقع فيه الكتاب ، اذ يقولون ((اللغة الفصحى)) في مقابل ((اللغة العامية)) . ان لفظة الفصحى هي أساسا مؤنث الافصح . ومن هنا يأتي الخطأ في استعمالها . فليس عندنا من ((كلام أفصح)) لنقول ((لغة فصحى)) . هناك لغة صحيحة في حدود ما نتفق عليه . واللغة ، هي على كل حال ، اصطلاح ، كثير منه قديم موروث ، وكثير جديد موضوع. ولا بقاء للغة اذا لم يرفد الجديد الموضوع ، باسباب البقاء ، ذلك القديم الموروث ، وبصورة مستمرة ، كما ترفد السماء الارض بالماء تسقيها والفلاح التربة بالسماد يحيي به مواتها .

وحينئذ ، تنحل جميع المشاكل المنبثقة من الجهل اللغوي ، او ((العامية)) التي شبهها بعض الحكماء بالعمى . وكان بوذا العظيم أول من تنبه الى خطورة ذلك العمل .. منذ ثلاثة الاف عام . فوعد باصلاح اللغة — اولا — اذا تولى الحكم — دون غيره من وجوه الاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

ومن هذه المشاكل : لغة المسرحية ، مثلا — والاغاني وسائر ما يذاع اليوم في الراديو والتلفزيون. أتكون بالعامية العاجزة عن نقل الفكر أو استيعاب الحضارة . أم بالصحيحة التي هي وحدها لغة العقل والحضارة ؟

ان السؤال ، متى تم رفع مستوى المتكلمين باللغة ، غير وارد. وهو حتما غير وارد الان اذا عمد الكتاب والادباء والشعراء والمذيعون والصحفيون والمفنون ، وسائر ابناء اللغة — الى الاخذ باسباب التيسير والتبسيط ، وتجنبوا ما ينفر ويمجه الذوق ، على كل حال — من تقعرات ومبالغات واعرابات ..

ونحن لا ننكر ان لبعض هذه الاشياء القديمة منها والحديثة — جمالها الفني — ولكننا دعونا وندعو الى ابقائها وقفا على الاختصاصيين — من طلاب اللغة والاداب ، كما نترك كل ما يماثلها في حقول الطب والهندسة والزراعة والفنون — مثلا — اذا تحدثنا في هذه المواضيع — لاهل الاختصاص .

وخلاصة القول ان صعوبات اللغة العربية — المشابهة لصعوبات غيرها من اللغات — لا تحول دون تيسيرها حتى تصبح لغة التخاطب والمسرح والاذاعة والاغنية ، بل ربما ساهم المسرح والاذاعة والاغنية في سرعة بلوغنا هذا الهدف القريب — البعيد — الذي بلغته الامم الراقية — دون توقف عند المصاعب، أو بكاء على الاطلال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصّة : ويليام سارويان ... ترجمة : سلوى بهجة عبد الحميد



بينما كان يسير في المنتزه في احد ايام مايو اذ به يرى ثعبانا صغيرا بني اللون يمر بين الحشائش واوراق الشجر فتعقبه ممسكا بغصن طويل وقد داخله احساس بذلك الخوف الغريزي ، الذي يتملك الانسان ، م نالزواحف .

قال في نفسه ((ذلك هو رمز الشر في نظرنا)) .

ثم لمس الثعبان بالغصن فراح يتلوى ويترعص، ورفع الثعبان رأسه ثم ضرب الغصن وانطلق بين الاعشاب مسرعا، في خوف ، والرجل في اثره .

كان الامر طريفا غاية الطرافة يتطلب مهارة فائقة ولكنه اعتزم ان يبقى مع الثعبان لحظة ، عله يكتشف شيئا من امره .

لقد جعله ذلك الثعبان الصغير البني اللون يتوغل في المنتزه حتى اختبا عن الانظار فصارا وحيدين معا . وراوده احساس بالذنب في انه بتعقبه للثعبان انما ينتهك بعض لوائح المنتزه ، وراح يرتب جوابا يرد به على من قد يفضح امره ربما يقول ((انني ادرس اخلاقيات العصر)) او ((انني مثال واقوم بدراسة تكوين الزواحف)) وعلى اي حال ففي استطاعته ان يجد تفسيرا منطقيا للامر .

لن يقول ابدا انه كان ينتوي قتل الثعبان .

وسار بجوار الثعبان المذعور كان يقفز من حين لآخر لاجل الا يفقد اثره حتى خارت قوى الثعبان وتوقف عن الحركة ، فاستند هو الى عقبيه حتى يتمكن من رؤية الثعبان عن كثب . واعترف لنفسه بانه كان يخشى ان يلمسه بيديه ، فان لمس الثعبان اشبه بلمس السر في عقل الانسان ، شيء يجب على الانسان الا يخرجه الى النور .. ذلك الانزلاق الاملس وهذا الصمت المروع كانا ذات يوم صورة من صور الانسان وها هو يعود اليها كآخر شكل من اشكاله ، وها هي الثعابين تسعى على الارض كانما لم يقع اي تغيير البتة .

ان آدم وحواء — كما قالت التوراة وتبعا لنظرية التطور — هما اول ذكر وانثى وهما بدء الخليقة .

يا له من ثعبان .. كان رشيقا نظيفا محدد الملامح .

احس بالرهبة من شعور الثعبان بالخوف وذعر اذ فكر فيما لو ان ثعابين الحديقة كلها قد هبت لنجدة ذلك الثعبان الصغير البني اللون فحاصرته بصمتها المخيف وهيئتها الشريرة المرعبة . لقد كانت حديقة كبيرة فلا بد انها تحوي الاف الثعابين . ولو اكتشفت الثعابين كلها ما يفعله مع ذلك الثعبان الصغير لاستطاعت بسهولة ان تشل حركته .

وهب يتلفت حواليه . كان السكون يشمل المكان فكان اشبه شيء بذلك الصمت الذي يسبق بداية القراءة في الانجيل. وسمع صوت طائر يتنقل من غصن الى غصن على دغلة قريبة ومع ذلك فقد كان وحيدا مع الثعبان . ونسي انه في حديقة عامة بمدينة كبرى . ومرقت طائرة فوق رأسه ولكنه لم يرها او يسمعها . وكان الصمت يطبق على المكان كما ان نظره تسمر على الثعبان المائل امامه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجها لوجه في الحديقة مع الثعبان في مستهل عام ١٩٣١ .

وعـــاد فجلس القرفصاء محاولا الاقتراب من الثعبان . وضحك من اعماقه لفكرة وجود الثعبان بلحمه ودمه امامه .. شيئا مستقلا عن ذاتـــه .. منبسطا على سطح الارض دون ان يكون جزءا متمما لشخصه. انه امر مذهل حقيقة .. لقد كان يخشى ، في بداية الامر ، ان يتحدث بصوت عال ولكنه بمرور الوقت اخذت تزايلـــه رهبته وبدأ في الحديث اليـــه بالانكليزية .. لقد كان جميل ان يتحدث الى الثعبان .

قال : « حسن ، ها انذا ، بعد كل هذه السنين ، رجل في مقتبل العمر احيا على نفس الارض وتحت نفس السمـــاء وبنفس المشاعر والاحاسيس. لن ادعك تهرب . ماذا يدور في رأسك ؟ كيف ستدافع عـن نفسك ؟ اني انوي القضـــاء عليك ، فهـــذا امر ضروري للانسان » .

وراح الثعبان يتلوى امامه عاجزا عن ان يتفادى ضربات الفصن في الوقت الذي اخـــذ يضرب الفصن فيه عدة مرات حتى اصابه الكلال ، ورفـــع الرجل الفصن فسمع الثعبان يقول له « اشكرك » .

بدأ يصفر للثعبان ليرى ان كانت الموسيقى تؤثر علـــى حركاته او تجعلـــه يرقص . فاخذ يصفر لـــه نغمات اوبرا شوبير « انت حبي الوحيد » ولكن الثعبان لم يرقص ، فقال فقال في نفسه« ربما اجدت احدى المعزوفات الايطاليـــة » وبدأ في ترديـــد لحن « حواء المتقلبة » ناطقا الكلمات ، عن عمد ، بطريقة خاطئـــة حتى يسلي نفسه . ثم حاول تجربة احدى مؤلفات برامز الراقصة ولكن الموسيقى لم تؤثر اطلاقا على الثعبان . لقد كان تعبـــا خائفا يطمع في الفرار .

وفجأة عجب من نفسه اذ خطر له ان يدع الثعبان ينسل بعيدا ويضيع في العالم السفلي لامثاله . ولكن لماذا يدعـــه يهرب ؟

التقط صخرة ثقيلـــة من الارض وفكر برهة ثم قـــال : « ساحطم رأسك بهذه الصخرة واراك وانت تموت ، ساحطم هذه الرشاقة الغادرة وذلـــك الجمال الآثم » .

ولكن الامر كان غايـــة في الغرابة اذ انه لم يستطع ان يلقي بالصخرة علـــى رأس الثعبان . وبدأ فجـــأة يشعر بالاسف نحوه ، وقال وهو يلقي بالصخرة على الارض « آسف اسالك العفو .. لا اكن لـــك الان الا كل حب »

اراد ان يلمس الثعبان بيديه وان يمسك به ليتعرف علـــى حقيقته ، ولكن الامر كان غاية في الصعوبة فقد كان الثعبان خائفا وفي كل مرة مد فيها يده ليلمسه كان يستدير الىمهاجمته فيقول له الرجل « اني اكن لك كل حب . لا تخف ، لن اصيبك بسوء » .

وبسرعة رفع الثعبان عـــن الارض فادرك حقيقة ملمســـه وقال « الان عرفت الحقيقة . الثعبان بارد الملمس . نظيف . ولكنه صغير الحجم كما كنت اعتقد » .

والقى بابتسامة الى الثعبان الصغير البني وقـــال « اذهب قيد الحياة . لقد كنت في حضرة الانسان ومع ذلك فانت حي . فلتذهب الان » .

لكن الثعبان لم يذهب . كان يمتلىء خوفا ورعبا .

شعر بالخـــزي والاسف الشديدين من فعلته هذه وقال في نفسه « يا يسوع ، لقـــد عذبت هذا الثعبان الصغير . ان ينسى ابـــدا . سيذكرني دائما وانا منكب عليه »

واستطرد يخاطب الثعبـــان « بحق السماء عد الى ذويك . احك لهم ماذا رأيت انت نفسك بعينيك هاتين . احك لهم عما شعرت به وعن حرارة يـــد الانسان واخبرهم بما نلته في حضرتي » .

وفجأة انزلق الثعبان بعيدا عنه فقال له « اشكرك » وراح يضحك من اعماقـــه اذ راى الثعبان وهو يلقي بنفسه وسط الحشـــائش واوراق الشجر مبتعدا عن طريق الانسان .

قال « رائع .. اسرع اليهم وقل لهم انـــك كنت في حضرة الانسان وانك لم تقتل ، وفكر في كل الثعـــابين التي تعيش وتموت دون ان تلقى الانسان .. فكر فيما يعنيه هذا الامتياز بالنسبة لك » .

وبدا له ان حركات الثعبان الصغير ما هي الا تعبير حقيقي عن الفـــرح العميق ، فشعر ببالغ السرور وقفل راجعا في طريقه الى الممر معاودا سيره.

★★★

في المساء ، بينما كـــانت تجلس بجانب « البيانو » وهي تعزف بهدوء اذ به يقول لها :

— لقد حدث شيء طريف ..

قالت متسائلة وهي تستمر في العزف ..

— شيء طريف !

اجاب :

— نعم . بينما كنت اسير في الحديقة رأيت ثعبانـــا صغيرا



بني اللون .

فتوقفت عن العزف واستدارت بمقعدها متجهة اليه بنظرها وهي تساله :

— ثعبان ؟ ما اقبح ذلك !

رد قائلا :

— لا .. لقد كان جميلا

سألته :

— وماذا عنه ؟

اجاب :

— أوه .. لا شيء .. لقد امسكته لحظات !

قالت :

— لكن .. لماذا ؟

اجاب :

— ليس هناك سبب قوي على الاطلاق . .

فعبرت الغرفة ثم اخذت مجلسها بجانبه وهي تنظر اليه متعجبة وسألته :

— احك لي كل شيء عن الثعبان ..

— لقد كان جميلا .. لم يكن قبيحا ابدا .. عندما لمسته احسست بنظافته ..

— انني سعيدة للغاية .. ثم ماذا ايضا ؟

— لقد كنت ارغب في قتل الثعبان ولكني لم استطع .. لقد كان جميلا .

— انني مسرورة .. لكن قل لي كل شيء .

— هذا كل ما في الامر ..

— لا .. ليس كذلك .. اعلم ان الامر ليس كذلك .. احك لي كل شيء .

— انه امر طريف . كنت ساقتل الثعبان ثم لا آتي الى هنا ابدا .

— الا تخجل من نفسك ؟

— بالطبع نعم ..

— وماذا ايضا ؟ كيف رأيتني وانت تنظر الى الثعبان امامك؟

— ستغضبين .

— هراء .. انه من العسير على ان اغضب منك .. قل لي اذن .

— حسن لقد فكرت في انك جميلة ولكن شريرة .

— شريرة ؟ !

— قلت انك ستغضبين ..

— ثم ؟

— ثم لمست الثعبان .. لم يكن ذلك سهلا ، ولكني التقطه بيدي .. ولكن ماذا يهمك من هذا كله ؟ لقد قرأت العديد من الكتب التي تدور حول اشياء كهذه . ما معنى انني امسكت بثعبان ؟

راحت تضحك ضحكة ناعمة ذكية ثم قالت :

— لماذا ؟ ان ذلك يعني ببساطة انك احمق . رائع .. اليس كذلك ؟

— اهذا ما يقوله فرويد ؟

اجابت وهي تضحك :

— نعم ، هذا رأي فرويد . حسن . على اي حال ، لقد كان جميل ان اطلق سراح الثعبان .

— هل قلت لي ابدا انك تحبني ؟

— انت التي تعرفين .. فانا لا اذكر كلمة او ،ثنتين مما اقول لك .

— لا .. لم تقلها ابدا .

ثم عاودت الضحك وهي تشعر بسعادة مفاجئة تعتريها ثم قالت :

— لقد كنت دائما تتحدث عن اشياء اخرى كثيرة لا رابطة بينها وذلك في اشد الاوقات حرجا .

— هذا الثعبان كان صغيرا بني اللون .

— وهذا يفسر الامر .

— عم تتحدثين بحق الجحيم؟

— انني سعيدة جدا لانك لم تقتل الثعبان .

ثم عادت الى « البيانو » ووضعت يديها على الاصابع بخفة .

قال :

— لقد صفرت للثعبان بعض الاغنيات .. لحنا من سيمفونية شوبير الناقصة .. احب ان اسمعها .. اتعرفينها ؟ .. تلك التي استحدثت في الكوميديا المسماة « وقت التفتح » .. ذلك المقطع الذي يبدأ بـ « انت حبي الوحيد ».

بدأت في العزف وهي تشعر بعينيه على شعرها .. على يديها .. على جيدها .. على ظهرها وذراعيها .. يتفحصها تماما كما كان يتفحص الثعبان.

شاعرة من أستونيا



ديبورا فراندي

ديبورا فراندي ، شاعرة سوفياتية من جمهورية استونيا يتنبأ لها النقاد بمستقبل باهر في عالم الادب ، خاصة بعد ان فازت قصيدتها « تربة استونيا » بجائزة الجمهورية في العام الفائت ، اذ على الرغم من انها نشرت ثلاث مجموعات شعرية حتى الان بدءا من العام ١٩٤٥ فان شيئا منها لم يترجم الى اللغات الاجنبية خارج الاتحاد السوفياتي الا في السنتين الماضيتين .

في العام ١٩٤٠ بدأت الصحف والمجلات الادبية تتعرف على شعر ديبورا تنشره مع بريد الهواة من القراء ، الا ان الفتاة الطموحة قدرت بموهبتها وتمكنها من اللغة الى جانب تطلعاتها الادبية ان تخلق جسرا بينها وبين القراء ، وفي هذا الصدد تقول ان انقطاع الكاتب او الشاعر عن العطاء ولو لفترة بسيطة ينشر الاعشاب الضارة في دروبه وينثر غبار النسيان على اسمه .

تقول فيرا روبر — وهي ناقدة ادبية لها مكانتها اليوم ان ابرز ما يميز شعر ديبورا هو الدافع الشخصي والاجتماعي ، هو الحافز الذاتي الذي يعجزه التعبير مهما كانت الوسيلة . ففي قصيدتها تربة استونيا مثلا تعمدت الا تستخدم كلمة « ارض » او حتى « وطن » بل « تربة » و... « بيت »

سمراء او صفراء محمرة
كانت النماذج في المجموعة
تتطلع الي من صناديقها
رقيقة كوجود النـــاس
عارية بطهارة وكمال
انها تربة استونيـــا
هتفت ،
انها تربة استونيا

شاعر من اصدقاء ديبورا قال مؤخرا : جميعنا نزور المتحف ونرى الاشياء نفسها ، لكن ديبورا وحدها هي القادرة ان تخلق من المتحف قصيدة ، وان تستنطق الاشياء .

ولدت في احدى قرى جنوب استونيا ، وسرعان ما انتقل بها ابواها الى جزيرة ساريما ، وفي العام ١٩٣٦ انتسبت لجامعة تارتو الا ان احداث سنة ١٩٤٠ تسببت في انقطاعها عن الدراسة والتحاقها كمحررة في احدى الصحف ، وهناك بدأ نتاجها الادبي يأخذ شكله الواضح.

« سماء في اللهيب » كان عنوان مجموعتها الشعرية الاولى التي نشرت في العام ١٩٤٥ وبهذا لم يعد اسم هذه الشاعرة مجهولا من قبـــل القراء ، ولا مضمون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجموعة نفسها التي كان تكل قصيدة فيها تتأجج بالالم واهوال الحرب والغضب على المعتدين .

وشهد العام ١٩٤٨ صدور مجموعتها الثانيـــة « اغاني الامواج » التي الحقت بعد عامين بـــ « صباح صاف » .

وفي الخمسينيات اصدرت ديبورا ثلاث مجموعات من الشعر الغنائي والقصائد الطويلة ، وحينها فقط بـــدأ اهتمام المترجمين الروس بشعرها وبنقله الى مختلف لغات الشعوب السوفياتية ، وقال النقاد الغربيون عن مجموعتها الاخيرة : « خبز من السهول الساحلية » انها قد حققت بها نغما جديدا اقدر على التعبير واعنف عاطفية لقد ظلت شاعرة وطنية مخلصة الا انها اكتسبت المزيد من الغنى والالوان .

في قصائدها الاولى كـــانت ديبورا فراندي كنغم مزمار الراعي لكنها في ديوانها الاخير قد جمعت انغـــام اوركسترا كاملة .

في توافق الانغام الرمادية الرقيقة اسمك
كالشتاء ، ماطرة عبوس
حتى الالحان التي لا تستوعبها الموسيقى
تعني في الاذن كلمة واحدة
ساريما .... ساريما !
الملامح التي اعرف واحب
برقعت بضباب فجر يوم جديد
وحدود الشاطىء مكسوة الصخور
بالطحلب والاصداف
كاوراق زهرة تطفو على الموج
تمنحين نفسك لحركته
وتشعرين لذة المنذور
في انحناءك امام معبودك .. المحيط .
سرعان ما تحل اللحظة الحاسمة
ينطلق الطفل فيها من قيوده
يبحث عن طريق لم يسبقه احد اليها
وحينها يستحيل على اي شخص
كما يستحيل على الظروف
ان تمسك بالطفل لتعيده الى الوراء
من هنا اطل عليك يا ساريما
يا بيتي الذي اسيجه بقلبي ،
لو قدر لي ان احلق الى عوالم سحيقة
لظلت جذوري فيـــك يا ساريما
تقيدني هنا ، تشدني اليك
لانها جذور عميقة وازلية .

في العدد القادم

• الحركة المسرحية في مقامات العجيلي
• الشعر الفرنسي وأسبقية التجديد
• ابحار عقيم - مسرحية شعرية
• عطاوة زحلان والتنويعات النقدية

مع مجموعة من القصائد الجديدة والقصص والمقالات النقدية

• يصدر في مطلع مايو القادم
• تجدها في جميع المكتبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صنيعة الشيطان

تأليف

حسن رشاد

نقد : علاء الدين وحيد

بعض النقاد يؤثرون السكوت عن القول اذا كان المجال مجال انتاج ضعيف ، او متهافت . ولهذه النظرة اخطارها الكثيرة ، فهي تعني تشجيع الادعيـــاء على الكتابة والهبوط بمستوى الانتاج عامة فالعملة الرديئة ــ كما هو معروف ــ تطرد العملة الصحيحة . كما انها تخدع الكتاب الناشئين فيما يجب ان يأخذوا او يدعوا ، وخاصة اذا كان صاحب الاسم الذي يطالعون اعماله على نصيب من الشهرة كبير او صغير .. ومن ناحية اخرى فهذه النظرة تفقد النقد اهم وظائفه وهي ايقاف المنقود على نواحي ضعفه ... هذه كلمة ضروريـــة لتقديم قصة حسن رشاد الطويلة (صنيعة الشيطان) .

علامتا استفهام لم تفارقا قارىء هذه القصة طوال مطالعته لها ، وهما : ماذا يريد ان يقوله **حسن رشاد** ؟ و.. لمن من القراء كتب (صنيعة الشيطان) ؟ والتساؤلان رغم اختلافهما الظاهري يعدان جانبين لوجه واحد . ويبدو التساؤل للذين يظنونه وقفا على الاعمال الغامضة او التي تستخدم الرمز او اسلوب اللا معقول ، اقرب الى الشذوذ بالنسبة الى قصتنا هذه ، فهي صريحة واضحة كفلق الصباح ! وانما يأتي هـــذا التساؤل لضبابية فن القصة عند **حسن رشاد** ! فهو يرتبـــك ويضطرب كأنه ناشيء يمسك القلم لاول مرة ، فـــلا يستطيع ان يكتب شيئا متناسقا ناضجا مقنعا . وزاده بلبلة ، الاحداث الصارخة العنيفة التي اختارها لايسر الاسباب . فبطلته ذات المثل الاخلاقية الرفيعة تسأم زوجها عند اول رجل مشهور تلقاه ، وتعمل على تحطيم حياتها وكأنها ليست ام لطفلة تعبدها ! والزوج يتحطم بين الخمر والميسر بلا مقاومة . وعندما يتم الطـــلاق وتتزوج **نجوى** تعمل صديقتها وهي **عشيقة** الزوج الجديد برهان على الاستئثار به تماما ، وحين يثور ، تدبر لـــه مكيدة تقف منها نجوى على خيانة الزوج ، الذي لا يجد بدا من قتل هذه العشيقة ! وفي السجن ينتحر برهان ! ولا تمر ايام اخر حتى تصدم سيارة عفاف ابنة نجوى ، وتزورها بطلتنا في المستشفى لتجد زوجها الاول الذي يعرض عليها الرجوع اليه ثانية ... وتنتهي القصة !!

وهكذا نقترب من التساؤل الثاني ، ونحن نبحث عن جمهور مؤلفنا او ما ينتظر ان يكون عليه قراء لمستوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مثل (صنيعة الشيطان) . هل يكتب حسن رشاد لمن بالكاد يفكون الخط ويستطيعون رسم امضائهم ، ام للقراء الذين — يظن — ان القصة الحديثة لا تفترق في شيء عن حواديث جدته ، ام للجمهور الذي يطلب القصة الفنية بحدودها المعروفة ؟ اغلب الظن ان اديبنا باسلوبه الذي يكتب به لا يعني الا ان يكون عمله خالصا لوجه التسلية الخفيفة الساذجة ، التي لا ترهق كاتبها او قارئها على السواء ! .. واذا كانت العادة الا يهتم النقد باعمال التسلية هذه ، الا ان صدور **(صنيعة الشيطان)** في سلسلة جادة مثل (اقرأ) ما يضطر الناقد الى اعارتها اهتماما ما ..

اخذ **حسن رشاد** من الحواديث اشياء وترك اشياء ، ومن المؤسف حقا ان كان مقياس اختياره مهزوزا تعوزه الدقة ، فانتقى اسوأ الجوانب ، ومن هنا جاءت هذه الهنات الكثيرة التي افسدت عمله الى درجة جعلت قصته لا تصلح ان تكون حتى حدوتة مقنعة ! واول هذه الهنات ، التقريرية . فمؤلفنا يظن ان التقرير بكل جفافه وعموميته وانطماس فنية ملامحه ، هو امثل الاساليب لكتابة قصة ، والتعبير عن الاحاسيس ، وتحليل الشخوص . ولم تكن نتيجة ذلك التصاقا بالسطح وسذاجة تناول فحسب بل اخفاقا فيما يمكن ان يحمل هذا السطح نفسه من دلالات وظلال ! والهنة الثانية هي ، عنصر الاقناع، الذي لم يستشعر القاص ضرورته! فقد آمن ان من حقه غير المنازع كخالق لا يقدم تبريرا لما يفعل ، استخدام اسلوب كن فيكون ! وهكذا تتابعت الاحداث بلا ارض ثابتة تقف عليها ... اعني بلا منطق فني مفهوم ، فهي اشياء تقع بالاكراه ولا حول ولا قوة الا بالله ! واذا كانت احداث الحواديت تستعين على اقامة دعائمها بالسحر المادي والمعنوي ، فان **حسن رشاد** الذي يعيش في النصف الثاني من القرن العشرين يكتفي لمقتضيات العصر باللون الثاني من السحر ، اعني هذا الذي يحط على قلوب البشر فتشل ارادتهم و« تتبلبش » اجسادهم ! كما فعل **ببرهان** ونظره يقع لاول مرة على **نجوى !** — صفحة ١٢ — . ولما كان قاصا قد نسي ان يمدد لبطلته من الجمال المذهل انواعا يبرر بها هذا السحر ، فلم يجد خيرا من تعليله كما جاء على لسان **برهان** بقوله .. انه كفنان يرى ما لا تراه عين الشخص العادي !!

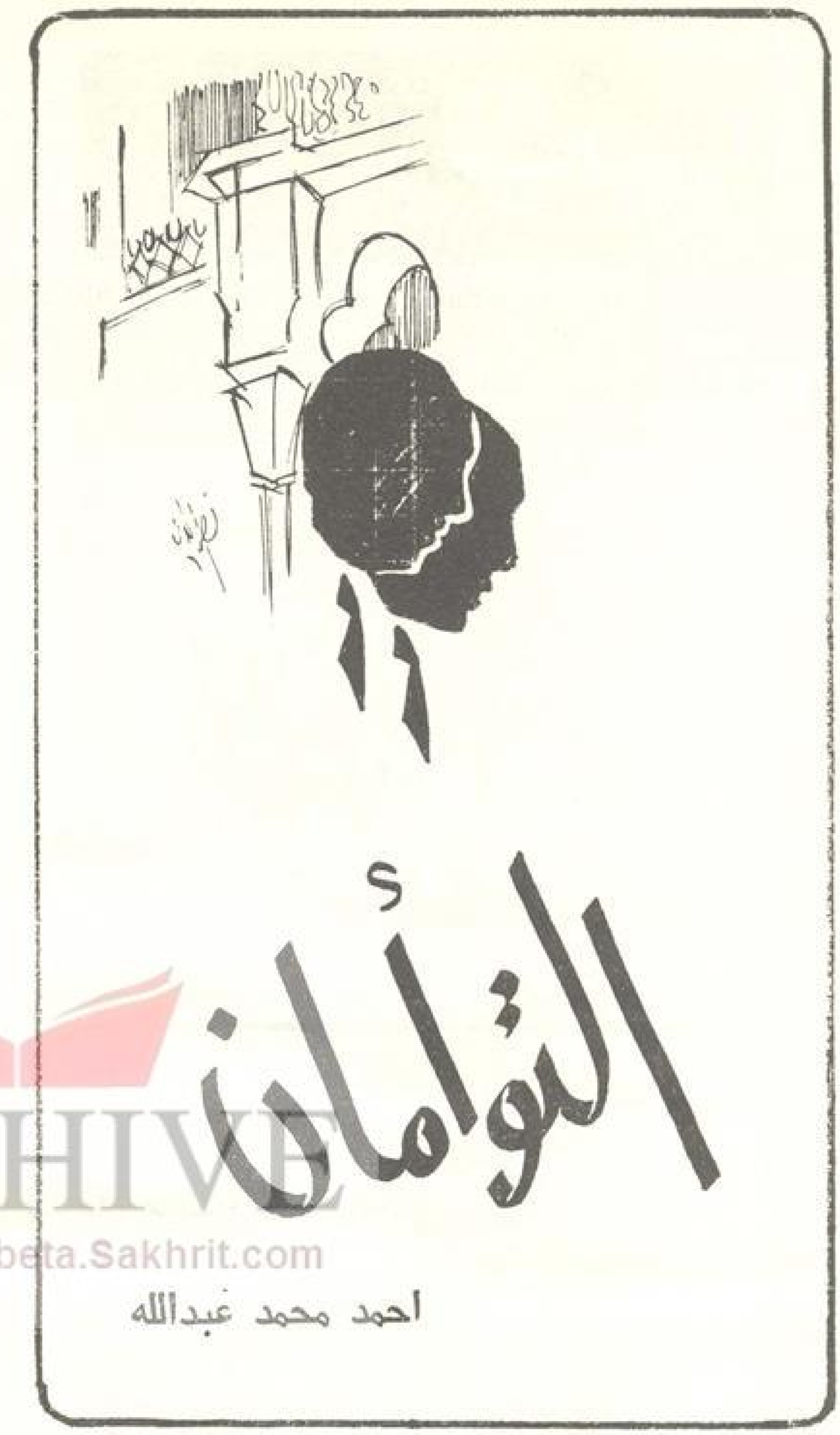
وفي هذا الموضع ايضا نذكر استعانة حسن رشاد بالمصادفة المفتعلة . يريد مثلا ان يطلع عديلة على العلاقة المستترة بين عشيقها برهان وصديقتها نجوى — قبل ان يتزوجا — فلا يقنع الا باصطناع لقطة يودع فيها برهان نجوى ، فيثرثران طويلا على عتبة مرسمه ، لتلمحه عديلة. التي جاءت في نفس اللحظة وتستمع اليهما وهما لا يريانها . (كيف ؟ !) لانها اسرعت — كما يجري تاليف كاتبنا — بالانزواء في « ركن مظلم » . وهكذا تم لها كشف المستور !

ولم يكن تأثر حسن رشاد باسلوب الحواديث الساذج هو باعث بدائية قصته فحسب ، بل اشترك مفهومه لوظيفة القصة في عدم تجنب هذا المصير . فالقصة عنده يجب ان تكون تهذيبية تاديبية اصلاحية ! وقد دفعه تهالكه على هذا المفهوم ولهفته الشديدة . على اتخاذ الفن منبرا للدعوة الى مكارم الاخلاق . الى عدم قدرته على تمالك النفس باستخدام الاساليب غير المباشرة وسيلته الى ذلك فكانت الكلمات الجهيرة الصائحة هي المسيطرة على قلمه ، وذلك في سبيل القضاء على كل تفكير **اثم ورغبة يأباها الخلق والشرف والضمير** ، كما يجهر مؤلفنا في احد مواقفه !!

وتستبد الدهشة بالقارىء في مواطن كثيرة وهو يطالع الوانا من القصور والجهل باوليات مبادىء القصة . ونتمثل هنا بفهم الكاتب لتحليل الشخصية والوصول الى اغوارها . **حسن رشاد** يدرك ضرورة هذا العنصر للقصة بدليل اشارته اليه ، ولكن كيف يفهمه ويطبقه ؟ الجواب : ليجرد رفع شعاره .. وكفى الله شر القتال ! هذه هي الحقيقة التي لا تكاد تصدق ! انه يريد ان يحلل مثلا اعماق بطلته **نجوى** وهي في طريقها الى الريف بطفلتها . عملا بنصيحة زوجها في الظاهر وفرارا من تجربة حب **تعترضها في شخص الرسام برهان الذي التقت به في ذلك الحين عند احدى صديقاتها.** هذا الصراع الذي التفت القاص الى نشوبه في نفس **نجوى** والعربة تسير بها ، ماذا يقول عنه وكيف يتناوله — قبل ان نستشهد بما صور **حسن** رشاد ، نشير الى اننا ازاء اي مثال نعرضه هنا من هذه القصة ، ندرك اكثر ان التلخيص اذا كان عادة يسيء الى العمل القصصي ، فربما يحسن لاول مرة بالنسبة الى قصة مثل **(صنيعة الشيطان)** اذ يخدع القارىء بما لا يستطيعه النص نفسه ! — ويكتب قاصنا بالحرف :

« مضت — السيارة — تسير في طريق تكتنفها المزارع والحقول والمناظر الجميلة ، ولكن بصر نجوى ظل طول الوقت متجها الى باطن نفسها لا الى ما حولها من المناظر الجميلة ومشاهد الطبيعة الخلابة . وواصلت السيارة سيرها ثلاث ساعات واخيرا ارتفعت امام بصر نجوى بلدة حماتها دولت ... » ! ... هذه هي عملية البحث عن الاغوار الدفينة في النفر التي حللها حسن رشاد !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



التوأمان

أحمد محمد عبدالله

المساء الهـــادىء والنسيم العليل واصفرار الشمس في جبين الافق ، تلك صورة ارتسمت في الكون فجل مبدعها فقد اتخذت هذه الصورة احلى عناصرها واصطبغت باحلى الوانها .. وبدت رائعـــة المنظر تبهر كل ناظر .

وفي احضان هـــذا الكون الواسع انتشى قصر منيف يردد صدى السنين العابرة ويجدد الاحلام ويبعث صورة اليوم الجديـــد .. وهذا القصر الذي تعود السكون والهدوء لم يتعود في مساء هذا اليوم ولكنه يشهد موجـــة من العجيج والضجيج ويبعث صدى بعيد المدى .. وفتح القصر على مصراعيه .. يستقبل الواردين اليه من ضيوف المساء .. وكأني بالقصر يضحك واين للحجارة الضحك .. ولكن ما بال القصر هذا المساء تلفه حلـــه تريد ان تكسر حدة ظلام الليـــل وتجعل من نفسها حد سيف مرهف يقصف كل ذي رخوة ... الزينة تعتلي سطوحه وتدور وكأنهـــا تحتضنه .. والباحة الواسعة قد تشكلت فيها مجموعات فردية وكأنها حفلة استعراض .. وتردد الرنين كلما دخل زائر وكأنها تحييـــه بصوتها .. وساعة القصر تلـــك الهامدة والمتحدية الزمن ما بالها هذا المساء تزمجر وتصرخ وقـــد عصبت رأسها بمـــلاءة بيضاء .. لست ادري اهي عروس في ليل زفافها .. ام ساعة للوقت .. شيء بحر .

ويبسط الليل شيئا من ستائره ويسدلها ولكن القصر يتحدى الظلام وتبعث الساعة صرختها وكأنهـــا تحدد الوقت المعد لبدء هذا المهرجان المسائي .

ويدخل الحفلـــة شيخ وقور تبدو في محياه الوجاهة واللطافة.. ويلقي بنفسه على مقعد في مقدمة الحفلة .. وقد دار برأسه شيء من عجب .. ويسرع الغلام ليحضر « النارجيلة » ويضعها امامه ليمص من روحها وينفخ ما وسعه النفخ ويتارجح ذات اليمين وذات الشمال والقصر يتمايل نشوان طربا .. وتدور كاسات الخمر تمنع الحاضرين باللذة التي جاءوا يتشدونهـــا ويعيشوا ليلة من ليالي البقاء .. ويسكرون ويعربدون وهذا بموضوع وذاك بآخر .. وفجأة يعم الصخب في القصر وينسون انفسهم وقـــد تاهوا في غمرات النشوة والحب والرقص والموسيقى اللطيفة والمرح المذب .

ويبـــدد الصخب فتى وسيم الطلعـــة .. ينتصب في وسطهم ليصيح صيحة غضب :

— كفى .. كفى .. لقد بعثتم في نفسي الكره وما اكره الكره الى نفسي

وتتحرك الشيخ الوقور لينظر الامر وما جرى ، وليجد نفســـه مناقلا ويحملق جيدا ولكنه يرى ابنه الاصغر قد وقف وقد بـــدت على ملامحـــه بوادر الاشمئزاز والعصبية فربت على كتفـــه .. طبعه الوالد الرؤوف ..

— ولدي .. ولدي .. ماذا جرى لك .. أأمر ما ترى بعد ذاك ..

— لالا .. لا .. لم .. لم .. بـــ .. بـــ .. كن .. شـ .. شيء ..

— اذن ما الذي دعاك الى مثل هذا العمل ..

— اعذرني يا والدي لم اقصد .

— ولكن اعلم يا بني ان القوم في حفل خطوبة اخيك الاكبر وغير لائق ان تعكر صفونـــا وصفو الحاضرين .

فيطأطىء رأسه خجلا ويتمتم: العذر يا ابي .. العذر ..

ويمشي كل على شاكلته ويعم الصخب مرة اخرى وتدور بالاكواب ساقيها بوزع المدام على الحاضري وبشجعهم على الرشف ما تسـ لهم .

وتنطلق الضحكات المبدعة ر ردهات القصر الواسع لترد القص النغم ثانية ، وفجاة :

— لا .. لا .. لا تتم الحفل ، دمت قد حضرت .

ويسرع اليـــه صديقه ورفي عمره وصديق صباه ليرفه عنـــ ويستهل معه حديث الاخوة ، عل يرجع عن رأيه ولكنه صلب العو لا يثنيه كلام .

ويتدخل الاب المعروف بحنو قلبه وعظمته ليعرف سبب هـــذا الازعاج وما يسببه هذا الولـــ العفريت في لحظات عمر سعيدة .

ومرة اخرى .. يعود ليقول لابيه : ابتاه لم اقصد شيئا ولكني .. وتخنقه عبرة مرتجفة ..

— ولكنك ماذا .. احدث امر لا سمح الله ..

— لا .. ها .. ها .. لا ولكن بان اقول يا أبت ان اخي لن يتزوج!

— ولماذا ؟؟ ولماذا يا ابني ؟ !

وتغيب في محيا الاب بسمـــ ودت ان تخرج للوجود وهو يتلهف الى معرفة ما وراء سؤاله .. وماذا عساه ان يجيب .. وينطق الفتى الشاب ليقول :

— ابي .. قل لي هل خانتـــك زوجتك يوما ..

يثيه الفكر بالوالد .. ويدور به الخيال .. وتدور في مخيلتـــ عجـــلات السنين وينخطى حواجز الزمن .. ويحاول ان يتذكر ولكنه شرد ذهنه ولم يحضر .. وينظر ويطيل التأمل ولكنه لا يرى جريمة في حقه .. ولا يجد الا الوفاء ، وفاء الخلان لبعضهم ويصحو بعد تيه ويهب من تخيلاته ليمسك بابنه قائلا له :

— يا بني ماذا في الامر .. ماذا .. قل !!

— هذا ما حدث اليوم وشاهدته بام عيني .. نعم هذا ما حدث اليوم .

— وماذا حدث !!

— لقد كنت في طريقي الى عملي وكنت قد مررت امام منزل السيد والد خطيبة اخي .

— وماذا بعد ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— لقد وجدت خطيبه اخي تكلم فتى قد سلبه الغرام لبه وغرق الى اذنيه في غرامها وراح يروي لها سير المحبين وطلائع وابطال الحب في التاريخ .. وهي تغازله وتطارحه الغرام فهل تريدني ان اسكت على شرف لي فيه نصيب .. وهل تريد لاخي زوجة خائنة وهل تريد ان تأتي في اخر عمرك لتكون قصة على السن الناس ؟

وبخف ضجيج الموسيقى وتبهت قليلا فقليلا لتتوارى .. وكيف اسمح لمن كان معي في بطن واحد ان تدنس شرفه انسانة حقيرة خؤونة ؟ ! لا .. لا .. لن يكون .

ووجم الاب ساعة .. وتأخذه رعدة .. ويقف الجميع وقد بهتوا ويخيم على القصر رهبة الليلة الليلاء ..

وبدمعة اسف وندم يعض الشيخ انامله .. حسرة على ما ضاع من عمره وحسرة على ما اتعب نفسه في تربيته ..

ويفتح باب القصر الواسع ليدخل منه فتى في عينيه من سحر الارام الشيء الكثير وفي وجهه بعض ضواء القمر وجماله .. ويتقدم في مشيته المعتادة ويفرك الوالد عينيه ليرى ويصدق ان القادم ابنه :

— سلام عليكم اجمعين ..

فيرد الاب وابنه الاصغر :

لا سلام .. ولا كلام .. اخرس لك الويل ..

— ولكن ما الداعي لهذا كله يا ابناه ..

— لا اب لك منذ اليوم .. يا .. يا ..

— ولكن يا والدي ما ..

— لست بمستمع لك ولكن اريد ان اسألك سؤالا من اين قدمت الان .

— قدمت من حفلة اقامها لي اصحابي .

— قدمت من حفلة .. وانت طرب نشوان ولست بحال من امرك .

— ولكن ما الداعي وماذا جرى يا والدي حتى تستقبلوني بهذا الاستقبال ؟

— الدنيا تهزك وتغشك بزينتها وغيرك يلعب بك ..

— غيري يلعب بي ..

— هذا ما اراه .. ويراه الناس.

صدر الغلام المسكين ليردد : وما

— وما هذا .. وهذا يضيق هذا سوى الشرف الذي كنت تبحث عنه ، لقد اضعته ووضعته في مهاوي عميقة وجعلتنا نتهاوى معه الى حضيض .. والى ظلمات لا نور فيها .. اهكذا يا امير الحب تفعل .. او هكذا يفعل الحب بك ..

وينظر الواجمون وقد اجتمعوا .. لا يعرفون الامر ولو لجزء منه عساهم يستطيعون ترفيها عن احد منهم . وتختنق عبرة في حلق العريس القادم : ولكن ما الذي تتكلمون عنه ؟

— نتكلم عن فتاتك التي ترجو الزواج منها .. وليست لك باهل.

— ما هذا .. انني اعرفها تحبني واحبها .. وهل في هذا شك .

— تحبك .. ها ها ها ها .. تحبك .. لو كانت تحبك حقا لما قابلت الشاب ... يكلمها من الشرفة وهي تبتسم له وتكلمه الكلام الغزلي الرقيق وترش عليه من طلاوة لسانها الشيء الجميل ..

— ولكن متى ذا .. واين .. ؟

— متى ذا .. هذا اليوم رأيتها تكلم شابا وسيم الطلعة وقد وقف تحت الشرفة يناجيها باسرار الحب وهي له تسامعه مطيعة .

— ولكني كنت اليوم مع خطيبتي في الحفلة التي اقيمت لنا .

— (ويضحك الشاب ويطلقها مدويه) ولكنك اخطأت يا اخي ، لم تكن هي خطيبتي ولكنها شقيقتها، والذي يناجيها خطيبها ايضا ، لقد تعود مكالمتها من الشرفة وهي تعودت ذلك معه ، وهذا لقاؤهما .

وبهتز الاب وابنه لهذا الموقف .. شقيقتها وخطيبها معها .

— نعم شقيقتها وخطيبها وهي اختها التوأم .

وينكفيء الاب على ابنه يبكي ويبل ملابسه بالدموع ، ابني فلذة كبدي ، اعذرني لقد اخطأت في حقك ويعتذر الاخ ويقبل اعتذارهما بصدر رحب كبير ويفتح لهما قلبه بعد ان لوحهما الهم والغم والحسرة والاسف وتعود الحفلة ليجلسوا جميعا وتحضر الخطيبة وتتم كل شيء ويعود القصر للضجيج والصخب مرة اخرى وتتعالى اصوات الكؤوس المدامية تلاطم بعضها بعضا ..

استفزاز

شعر: فايق عبد الجليل

لا تسأليني اين ذاهب
او متى تأتي تنام
فانا اليوم رجل
ومثالا للرجال
لم اعد طفلا هزيل
يأخذ الشيء القليل
او يسير بالاوامر
فانا الليلة سأسهر
واسامر ثم اسكر
لا تقولي عجبا او مستحيل
او ترى ابني عليل
انظري هذي قواي
فانا مثل سواي
من بني هذا البشر
اتريدي ان اكون
كزهور في سكون
وانا قلبي حنون
يتشوق لليالي
ويحقق ما خيالي
فانا اليوم رجل
ومثالا للرجال

اسمعي الاصحاب
ها هم قد اتوا
فاحذري ان تنطقي حرفا علي
او تقولي مثل ما قال العدو
انكم داء البشر
واعلمي اني هناك
بين احلى الغانيات
وجوار ساقيات
نجعل الليل حكاية
ونصل حتى النهاية
ثم نغفو في سبات
في حياة غير هاتيك الحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ملك عبد العزيز

في ندوة جديدة من « مع النقاد » التي يقدمها البرنامج الثقافي باذاعة القاهرة ، ويعدها ابراهيم الصيرفي ، نوقش ديوان **(قال المساء)** للشاعرة **ملك عبد العزيز** ، باعتباره اخر ما صدر لها .

وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكاترة **عبد القادر القط وشكري محمد عياد والشاعر صلاح عبد الصبور .**

وقد استهل الندوة الدكتور القط بقوله :

ان الزن المندى بالشجن هو روح هذا الديوان . حزن لا يبلغ حد التمرد او الثورة على شيء ما . حزن نابع من ان الشاعرة تهفو الى ماض حزين تحن اليه ، ومستقبل مبهم تتطلع نحوه . لهذا تغلب على الديوان رموز مثل : **المطر . النجوم . وخاصة نجمة الصباح . فمن ايحاء المطر : الطراوة . الندى . الرى . كما انها تستمد ايحاءات مضادة : الحرقة . القيظ . العطش .**

لهذا تطبع لغة الديوان بنوع من الرقة والصفاء والحرص على كلمات توحي بهذا الشجن الرقيق دون الارتباط بتجربة خاصة .

ومعنى هذا ان البعد عن التجربة الخاصة من ناحية ، وهذا الصفاء من ناحية اخرى ، تجعل الديوان وسطا بين ما نسميه بالشعر الجديد والكلاسيكي ، فهناك ايقاعا متسقا وكثيرا من القوافي التي تتردد ، ويمكن لهذا النوع من الشعر ان يكون معبرا حقيقيا لكي نروض اذواق القراء لتخطي هذه المرحلة ، من اجل تقبل الشعر الجديد .

وقد اتفق الدكتور **شكري عياد** مع الدكتور **القط** في ان معنى الحزن قد يكون هو المفتاح الذي يفسر طريقة الشاعرة في الاحساس . وقال اننا نجد هذا الشعور في قصيدة (الفرح) حيث نراها تغني للفرح وتدعو الفرحة الا تعمق والا اصبحت الما ، انها تجول في تلك المنطقة التي لا تعنف فيها العواطف وانما تظل في منطقة الاحساس المبهم تجاه ذلك المجهول (قصيدة الملح) والشعور باننا مهما اخترنا فاننا نشك في ان اختيارنا كان هو الاختيار المقصود : قصيدة (الحقيقة والظل) التي توشك ان تكون مناجاة دينية . ولكننا ، بشكل عام لا نصل الى حد الاحساس باننا فريسة للقلق .

هذا بالاضافة الى المجموعة الاخرى من القصائد التي تلعب فيها الطبيعة دورا كبيرا : قصيدة (الريح والنغم) حيث نسمع انشودة من خلال وقع قطرات المطر ، وجمال هذا الشعر ان فيه رسم وتسجيل لدقائق الشعور .

وقد استطاعت الشاعرة وهي في هذه المنطقة غير العميقة اللون من العواطف،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com